بين لاءات باراك وأوهام البعض: تناقضات وعود السلام

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

AL HADAF

الهدف

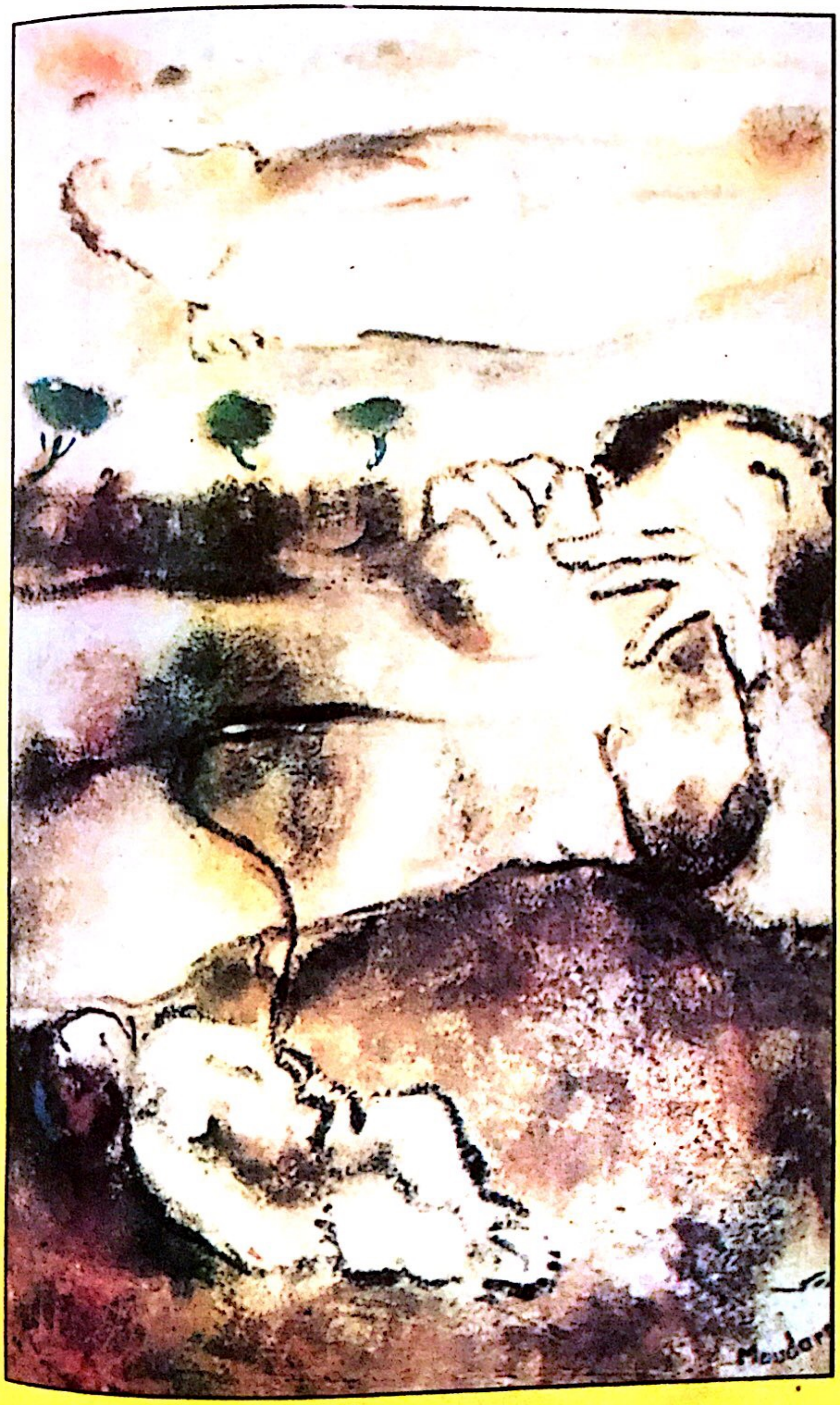


الذكرى الثلاثون لتأسيس الهدف

ذاكرة لا تنسى... ونهوض يتجدد

المعلم فاتح المدرس رجل الفن والحياة!

علي الكردي



"رهان على جنس طفل" في دير ياسين!

قبل أن أتعرف على فاتح المدرس كفنان، وكنا آنذاك مجموعة من الطلاب في أوائل السبعينيات، تعرفت عليه من خلال أحاديث صديقي الفنان يوسف عبدلكي الذي كان يتحدث عنه بحب وإعجاب تلميذ من تلامذة الطرق الصوفية بمعلمه.

فاتح المدرس، أكثر من مجرد فنان تشكيلي، تركت مدرسته التعبيرية بصماتها على المحترف السوري، وأجيال من الفنانين التشكيليين السوريين. إنه منارة ثقافية كانت تشعُّ بالمعرفة العميقة، والمواقف النقدية، والجرأة، والسخرية اللاذعة من القبح الذي يحيط بحياتنا.

إنه معلّم على صعيد الفن والأخلاق والسلوك والنقاء..

في مرسمه في ساحة النجمة بدمشق، الذي يشبه كهفاً معتماً تنتشر في جنباته بفوضى محببة عشرات اللوحات، والإسكتشات، والكتب، والتحف الفنية، والكلمات النثرية التي يكتبها كحكم ويعلقها هنا وهناك.. بين هذه الجدران الصاخبة بالأشياء التي تروي وجهاً من وجوه حياة دمشق الثقافية غير المرئية، تشعر لكأنك في معبد، أو لكأنك في عالم فسيح الأرجاء يحلّق بك في عوالم غير منظورة.

مرةً ذهبت إليه في مرسمه، وطلبت مشاركته في تحقيق للعدد السنوي لمجلة «الهدف» حول التطبيع الثقافي. نظر إليّ، وبعد برهة صمت قال: كيف حال الحكيم (جورج حبش).. أنا أحب هذا الشخص لأنه مستقيم.

وأضاف: لديّ صورة لوحة رسمتها منذ سنوات عن مذبحة دير ياسين. اللوحة ضاعت، لا أدري أين؟ ويوسف الخطيب نشرها في كتيب، لم يبق عندي منه سوى نسخة واحدة، سأعطيك إياها بشرط أن تعيدها، إذا أردتم نشرها (وقبل أن يسمع إجابتي) راح يحدثني عن القتل والمذابح والقبح الذي يسود عالمنا في مقابل الجمال الذي يكرّسه الفن.

طبعاً نُشرت اللوحة كغلاف وكان سعيداً جداً بهذا، ولم ينس قط أن يشارك في التحقيق، ليصب جام غضبه ـ على طريقته ـ على وحشية الإنسان، وغريزة القتل والمذابح المجانية السائدة ومفهومه للخير والشر.

فاتح المدرس واحد من المبدعين الكبار في عالمنا العربي، ومثال للمثقف الشمولي النزيه الذي لايفصل الفكر عن الواقع، ولا الأخلاق عن الإبداع.

ثلاثون عاماً على تأسيس «الهدف»

الذاكرة الحية.. والوثيقة الصادقة

تمضي السنون، وتتعقّد مسارات النضال الوطني، وتتلوّى، وماتزال مجلتنا «الهدف»، وقد بلغت عامها الثلاثين، حاملةً على أكتافها عبء هذا المسار المتعرّج، مناضلةً من أجل ان تكون (كل الحقيقة للجماهير) ممارسةً فعليةً على الأرض، وليست مجرّد شعار قابل للتصدير، وأن تكون كذلك، فهذا يعني أن تصبح بالفعل مركز استقطاب، ومنبر تنوير، ومساحة صدق ومشعل إشعاع معرفي، وتاريخاً من المصداقية التي ترسخَت في أتون التجارب المرّة التي خاضها شعبنا في سبيل قضيته الوطنية، بأفقها القومي، التحرّري، الإنساني.

لو عدنا إلى تراث «الهدف» منذ الأعداد الأولى، التي وضع لها حجر الأساس مؤسّسها غسان كنفاني.. ثم راقبنا تطوّرها في الأعداد اللاحقة، نكتشف كيف انعكست اللمسات الأولى التي تركها غسان، لاحقاً، على شكل المجلة ومضمونها، وصولاً إلى اكتمال ملامحها، وتبلور هويتها كمجلة سياسية عربية، احتلت مواقع طيبة في قلوب الفلسطينيين، والأخوة العرب، الذين اغتنوا بها وأغنوها، وذلك من خلال علاقة التفاعل والتجاذب التي نمت بينها وبين قرائها على مدار الثلاثين عاماً المنصرمة.

كذلك سنقدر إذا ما راجعنا تلك المسيرة حجم وعمق واتساع المعارك الإعلامية، والسجالات التي خيضت على صفحاتها من أجل تعميق الخط الوطني، القومي، الديمقراطي، التحرّري، التنويري بأفقه الأممي والإنساني المفتوح.

لقد ظلت «الهدف» دائماً في موقع الحدث الساخن، حاضرةً بقوة، وكذلك عند المحطات الحاسمة، والمنعطفات الحادة في تاريخ شعبنا وقضيته الوطنية لتضطلع بمسؤولياتها، وتحلّل بحيوية، وعبر خطابها الموضوعي، المتزن، خلفيات الصراع العربي ـ الصهيوني، وإشكالياته، وتناقضاته.. وكانت خلال كل هذا التاريخ تنظر إلى المسائل البسيطة منها والمعقّدة بعين المراقب المدقق، المتفحّص للأسباب والنتائج، وكانت جريئة في ممارسة النقد والنقد الذاتي، والإعتراف بالأخطاء لأنها كانت وماتزال متوافقةً مع النظرة إلى قضية شعبنا باعتبارها صيرورة تاريخية، نضالية مفتوحة، على صراعٍ عسكري وسياسي وفكري وثقافي، وحضاري مع العدو الذي يمتلك مشروعاً نقيضاً غايته تكريس الإحتلال الإستيطاني لأرضنا الفلسطينية، ومن ثم تعميم هيمنته المطلقة على المنطقة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ولذلك لم تكن الهدف في يوم من الأيام مع نظرة «يا وحدنا» بل رأت دائماً وأبداً قضيتنا الوطنية من خلال بعدها القومي، وتفاعلها الجدلي مع المشروع النهضوي العربي التحرري، دون أن يلغي ذلك اكتشاف وتحديد المساحة الوطنية وخصوصيتها في هذه المعادلة المعقدة، وقد أثبت الزمن صحة هذه الرؤية، رغم الهزائم والإنكسارات التي لحقت بهذا المشروع.

في جردةٍ بسيطة مع الزمن، نتبيّن أيضاً أن «الهدف» باتت ذاكرةً نضالية، وشاهدة حيّة، ووثيقة مفتوحة سجّلت بأمانة ونزاهة تاريخ شعبنا خلال الثلاثين عاماً الماضية، وإذا ما عاد أي دارس، أوباحث إلى أعدادها السابقة سيجد مادةً أرشيفية غنيةً للبحث والدراسة، ويمكن في حال إعادة قراءتها بشكلٍ تحليلي علمي الخروج بنتائج مذهلة عن تاريخ هذا الصراع ومنعطفاته!.

لابد من الإشارة أخيراً إلى دور «الهدف الثقافي»، الذي لعب أيضاً دوراً تنويرياً هاماً على المستوى الثقافي كان استمراراً لدور التنويرين العرب، ورافداً لمنابرهم النهضوية التحررية، وفي هذا السياق استقطبت «الهدف» أهم أقطاب الثقافة العربية المستنيرة، وكانت منبرهم الدائم، ولاحاجة بنا، أن نعدّد الأسماء لأنها أكثر من أن تُحصر.

يبقى القول: إن المنابر تتحدث عن أحوال أصحابها: همومهم ومطامحهم، وآلامهم، وإنكساراتهم، وتتأثر بأحوالهم سلباً وإيجاباً و«الهدف» بهذا المعنى كانت وماتزال صورةً حية تقول: «كل الحقيقة للجماهير» بحلّوها ومرّها ■■



رئيس التحرير
د. ماهـر الطاهـر

سكرتير التحرير
خليـــل جنـداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهــدي العـدوي

AL - HADAF
الهدف
سياسية عربية - تصدر مؤقتا كل أسبوعين

«الهدف» ٢٥ تموز ١٩٩٩ - العدد ١٢٩٥
السنة الحادية والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1295 - 25/7/1999



موضوع الغلاف:

الذكرى الثلاثون لتأسيس «الهدف»
(ملف)
تناقضات وعود السلام
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية:

شؤون عربية:

شؤون العدو:

الهدف الثقافي:

كلمة

تدخل «الهدف» عامها الواحد والثلاثين وخلفها مسيرة نضالية طويلة، وإرث ضخم من المنجزات التي تستحق أن تفخر بها، رسخها الكفاح الدؤوب والريادة والالتصاق بقضايا أمتها..

ولأن الحقيقة كل الحقيقة كانت هاجس «الهدف» منذ ولادتها، عرفها الجميع منذ يومها الأول - حتى الذين اختلفوا معها - كبيرة، معافاة، مشاغبة، و«مفردة خارج السرب» حين تستدعي الحاجة ذلك، لاتأخذها في الحق لومة لائم... فكان لابد أن تدفع الثمن باستمرار، فقدمت «فارسها الأول» قرباناً لخطها ومبادئها.. وتعرضت مكاتبها في بيروت لمحاولات تفجير عديدة، ومورس عليها الحصار ومُنعت من الدخول إلى أغلب الدول العربية، لكنها عرفت دائماً كيف تتغلب على كل هذا، وتتسلل إلى كل الأماكن تماماً كما كل الأفكار الجميلة التي لاتعترف بالحدود..

صدر عن «الهدف» خلال مسيرتها ١٢٩٥ عدداً أي بمعدل حوالي ٤٣ عدداً سنوياً، وهذا رقم ليس بسيطاً، وخصوصاً إذا أخذنا بعين الإعتبار صعوبة الظروف وشراسة المعارك التي خاضها شعبنا خلال هذه الحقبة. وطبعاً لم تتخلف «الهدف» عن موقعها ودورها، بل كانت كما أراد الشهيد غسان كنفاني في الطليعة دائماً.. وليست نادرة تلك الحالات التي اضطر فيها محررونا لترك القلم والريشة ليحملوا السلاح دفاعاً عن شعبهم وثورتهم..

سيلاحظ القراء أن ثمة غلطاً في ترقيم سنوات إصدار مجلتنا، ويبدو أنه يعود لفترة قديمة ماضية.. ونعترف أن هذا يزيد من حجم الخطأ ولا يقلل منه.. ونحن إذ نعتذر من قرائنا، فإننا لانجد حرجاً من الإقرار بغلطنا وكلنا ثقة بان قراءنا سيقدرون لنا صراحتنا ويغفرون لنا..

بهذه المناسبة نوجه التهنئة لكل العاملين في المجلة.. هؤلاء القابضين على جمر الكلام.. نوجه الشكر لهؤلاء الجنود المجهولين الذين يواصلون العمل في ظروف اقل ما يمكن أن يقال عنها إنها صعبة.. نقول للجميع: كل عام وانتم بخير.. كل عام وفلسطين بخير والهدف وشعبها وقراؤها في كل مكان بخير.

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٢٠ ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارت ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيهاً/ المغرب ١١ درهماً/ امريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولاراً/ بقية الدول العربية ٥٠ دولاراً/ اوروبا ١٢٥ دولاراً/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولاراً/ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولاراً.
☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا - لبنان.
رقم الحساب AC.NO.22094
☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق - ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
بيروت ٣٠٩٢٣٠
عمان ٦٩٦٣٤٠
صنعاء ٢٠٥٨٤٩
الجزائر ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد ٧١٩١٦٣٢
٧١٧٤٧١٠

مرايا هذا الزمان

- خليل جنداوي -

عن غسان والهدف والموناليزا وأشياء أخرى..

لم يكد ينفض احتفالنا بالذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد غسان كنفاني مؤسس مجلتنا العتيدة ورئيس تحريرها في أعوامها الثلاثة الأولى، حتى كنا نجتمع من جديد للاحتفال بالذكرى الثلاثين لانطلاقة محبوبة غسان «الهدف»..

يا للمفارقة.. الموت والولادة يتجاوران في زمن متقارب فلا يكاد يفصل بينهما إلا حوالي أسبوعان، وبالتحديد ثمانية عشر يوماً.. لكن لامجال للدهشة هنا، فاحتفالنا السنوي باستشهاد غسان هو أساساً مناسبة للتطهر والتجدد لمواصلة المسيرة.. هو تأكيد على قوة الحياة.. صرخة نقول فيها أن المبادئ والأفكار والمثل كانت وستظل أقوى من الموت والمدافع والدبابات والسيارات المفخخة وكواتم الصوت.. وهي أيضاً دعوة لرؤية الحياة لاكما يحاولون فرضها علينا، بل كيف يجب أن تكون جميلة، نظيفة، رحبة لكل البشر حيثما كانوا..!

وغسان كنفاني كان عاشقاً للحياة بامتياز.. فعاش منطلقاً، متدفقاً، حيوياً بشكل استثنائي وبصورة تبعث على الدهشة، ومن يدقق في إنجازاته وطبيعة عمله سيقدّر كم كان إيقاع معيشته سريعاً، وكأن الرجل كان يركض ولايمشي، ويخيل أن الدنيا بأسرها كانت أضيق من أن تتسع لحركة روحه المنطلقة.. ستة وثلاثين عاماً عاشها كانت أكثر امتلاءً وزخماً - ربما - من ثمانين سنة عاشها كثيرون، ولا نقصد هنا الجانب الإبداعي أو النضالي فقط، بل والشخصي الحياتي أيضاً.. فقد عاش غسان حياته بالطول والعرض!! ويقول البعض: إن ذلك يعود لاحساس داخلي أقرب للنبوءة كان يتملكه دائماً بأن قدره لن يمهله طويلاً.. ربما كان ذلك صحيحاً لكن هذا لايقلل من عشق غسان للحياة ولا من أهمية هذا الأمر...

هذه الروحية جعلت الرجل لايعرف اليأس أبداً.. رغم صور الموت والحرائق التي فتح عينيه عليها منذ ولادته، وكارثة النكبة التي طبعت طفولته، والمرض الذي رافقه منذ شبابه وأجبره على الإعتياد على حمل إبرته ودوائه في جيبه.. ومع ذلك ظل متشبثاً بالأمل لايدعه يفارقه ولو للحظة.. هذا التفاؤل نجده يطل علينا من كل أعماله.. بالمناسبة إذا نظرنا من هذه الزاوية لرواية غسان «رجال في الشمس» وهي أكثر قصصه تشاؤماً وقتامة (وإن كانت أروعها وأكثرها اكتمالاً) سنجد معاني تختلف كثيراً عما توصل إليه أغلب النقاد الذين رأوا أن غسان أراد بموت أبطاله اختناقاً في صهريج أن يقول إن الأفق التاريخي مسدود، وأنه لن ينفتح على المستقبل إلا إذا تغيرت الإرادات.. واعتبروا أن صرخة «لماذا لم يدقوا جدران الخزان» هي دعوة لتغيير المسار.. ربما كان هذا صحيحاً، لكني أعتقد أن هذه الصرخة لها أكثر من وجه وبالتالي تحمل أكثر من هذا المعنى، وهنا بالذات تكمن عظمة الرواية كلها.. فغموض هذه الصرخة يذكرنا بشكل او بآخر بابتسامة الموناليزا.. فيحار المرء أهي تعبير عن الراحة والاطمئنان، أم تخفي ألماً ومعاناة وقلقاً لايحتمل؟ ابتسامة ملاك أم ضحكة شيطانية؟ أهي ابتسامة خجل ارتسمت على وجه امرأة ساذجة استسلمت بارتباك لنزوات الفنان، أم هي نظرة الواثقة من نفسها فاخذت تتطلع بسخرية لمن أمامها؟! عشرات الإجابات المحتملة التي لايبدو لها نهاية..

صرخة غسان فيها هذا التنوع، فلا يدري القارئ هل يدين الكاتب أبطاله على استسلامهم أم يشفق عليهم؟ ولأن غسان لم يخف دهشته حين صرخ، فكأنه أيضاً كان يبحث عن إجابة بدلاً من أن يقدمها.. طبعاً لن يعرف أحد الحقيقة التي ماتت مع أصحابها، لكن لو تخيلنا أنفسنا مع هؤلاء البائسين فسنجد احتمالات عديدة لتبرير صمتهم: ربما هو الإستسلام السلبي لدرجة الموت أمام قسوة الواقع؟ وربما أيضاً أن الخوف أو حتى الرعب من أن يقبض عليهم حرس الحدود قد أخرسهم؟ أو لعله الأمل العارم بأنهم لو صمتوا وتحملوا عذابهم لفترة قليلة قادمة، فإن أبو الخيزران سيعبر بهم إلى الحياة السعيدة التي يبحثون عنها..؟

في كافة أعمال غسان سنلاحظ هاجساً يتكرر دائماً وكأنه يؤرقه باستمرار، ونقصد البحث المحموم عن الحقيقة والرغبة الجامحة في كشفها وتحليلها لتوظيف ما فيها من عناصر واتجاهات لتغيير الواقع ليصبح جديراً بأن يعاش..

ولأن السنوات الثلاث الأولى من حياة «الهدف» كان السنوات الثلاث الأخيرة من حياة غسان، فقد اندمج الاثنان بشكل أصبح يصعب الفصل بينهما، وهو من جهته نجح في نقل هاجسه لمحبوبته لتصبح «الهدف» مجلة تفتش عن الحقيقة وتشهرها سلاحاً تتزنر به الجماهير في مسيرتها الأليادية نحو الوطن.. والتي تبحث خلالها عن مكان لها في هذا العالم الذي «ليس لنا».

تطوي «الهدف» عامها الثلاثين، كانت خلالها بنت شعبها الأصيلة، التصقت به، قاتلت معه في كل معاركه عكست همومه وآماله، جراحه وانتصاراته.. كانت بحق «مرآة سحرية» لجماهيرها، تنظر فيها فترى واقعها، تنظر أكثر فترى الأمور كيف يجب أن تكون.. فواجهت أعداءها ببطولة ضارية.. وامتلأت المقابر في المخيمات وغصت السجون بالمقاتلين وازدحمت المنافي بمن رحلوا..

ولأن حال المرآة من حال زمنها، تراها تتألق وتلمع مع نهوضه، وتخبو وتنخفض رغماً عنها مع انحداره وهبوطه..

يحتفل البشر بأعياد ميلادهم فيشعلون شموعا بعدد سنوات العمر ثم يطفئونها، وعندما يضيفون شمعة جديدة في العام اللاحق فكأنهم يقصدون ولادة العام ثم موته... في الصحافة تختلف الصورة قليلاً، فالصحيفة أو المجلة وتحديداً الجدية والملتزمة، حين تحتفل بمرور عام على انطلاقتها، فإنها تشعل شمعة وتزرعها على الطريق ثم تتابع المسير..

ومن يعرف حجم المشاكل والصعوبات التي تعترض في الظروف الحالية العمل الوطني برمته (و«الهدف» من ضمنه طبعاً)، سيدرك أن كل عدد يصدر عن الصحافة الوطنية هو شمعة بحد ذاته، شمعة نشعلها من أرواحنا وأعصابنا.. ولاشكوى ولااعتراض..

تحية لـ «الهدف» في عيدها الثلاثين.. مرآة أمينة للزمن الفلسطيني الصعب.. وكلنا ثقة أنها ستظل تتابع السهم نحو فلسطين..

الحدث

إثر فوزه مباشرة، وفي اجتماع حاشد في ساحة بلدية تل أبيب، قال ايهودا باراك إن السلام داخل إسرائيل هو شرط مسبق للسلام مع العرب، وفي سياق آخر قال: إن السلام ضروري لرسم الشكل النهائي لانتصار الصهيونية.

تحيل المقولة الثانية إلى الجنرال الذي خاض حرباً وانتصر، وهو يريد تثبيت انتصاره وأن يأخذ بالسلم مالم تعطه إياه الحرب، والقول بأن السلام شرط لانتصار الصهيونية النهائي يحيل ـ كما يتضمن كلام باراك ـ إلى أن اكتمال برنامج الصهيونية يتطلب تحقيق السلام لاستكمال مانبقى من عناصره.

وهذا يحيل إلى مقولة باراك الأولى، ففهم هذه المقولة يقود إلى فهم استراتيجية السياسة القادمة، ويشترط تحليل عناصر الانسجام بين طرفي المعادلة التي طرحها جنرال السلام!

ولعل النقطة البارزة التي تحيل إليها كلمة باراك في اجتماع تل أبيب أن الهدف الأول لسياسته هو الداخل، وأنه معني بإسرائيل قبل أن يكون معنياً بأي سلام مع العرب.

عندما يزرع باراك الوهم ويحصد العرب الخيبة

«قراءة في تناقضات وعود السلام»

أحمد جابر

تهدف هذه المقالة إلى تحليل التناقضات التي تقوم عليها المقولات السياسية ليهودا باراك، ووضع الرجل في سياقه الصحيح بعيداً عن الأحلام والأماني العربية باعتباره رئيساً لوزراء إسرائيل وليس أميناً عاماً لجامعة الدول العربية.

خاض باراك معركة شاقة في أثناء حملته الانتخابية وبعد فوزه ليجمع شتات أحزاب متضاربة في السياسة والدين والنظرة إلى المجتمع، في محاولة منه لبناء تحالف واسع يتيح له دعماً برلمانياً قوياً، ويبدو أنه نجح من حيث الشكل في مسعاه، فضم إلى حكومته علمانيين متشددين وحاخامين متطرفين ويساريين ملتزمين بدولة فلسطينية (المقصود ميرتس رغم ان تأييدها لقيام دولة فلسطين قائم على توجهها لضرورة الفصل العنصري) ويمينيين يؤيدون الاستيطان، ولم يكن ينقصهم إلا شارون وعصابته ليكتمل عقده الإجماعي.

ونقول إنه نجح من حيث الشكل، لأن الجوهر يعكس ضعفاً مخبأً في الحكومة التي ستقيد باراك بمطالب الأحزاب وتناقضاتها وستضطره للسير على حبل مشدود بين يسار متناقض في ذاته، ويمين أكثر تناقضاً، وسيكون باراك مربوطاً بمعنى آخر إلى جبلين يشده كل منهما إلى جهة معاكسة.

والآن، لنفحص هذه اللوحة: أعطى باراك وعوداً انتخابية للجميع ولم يبخل على أحد، وعد حزب المفدال بدعم الاستيطان، ووعد ميرتس بالتقدم بالعملية السلمية والمزراحيم بالمساواة والاشكناز باسرائيل متفوقة،، والفلسطينيين بتنفيذ اتفاق واي، والسوريين بالعودة إلى المفاوضات من حيث انتهت مع رابين، واللبنانيين بالانسحاب من الجنوب، وأمهات الجنود بعودة أبنائهن إلى البيوت.

فإلى أي مدى سينجح باراك في الوفاء بوعوده؟ الإجابة على هذا السؤال ليست في عالم الغيب، ففي حوزتنا مؤشرات هامة، والنقطة الأساسية ليست قدرة باراك على الوفاء، بل هل تتوفر لديه الإرادة لذلك؟!

لنحلل إذن ما بحوزتنا من مؤشرات، منطلقين من كلمة باراك في اجتماع تل أبيب فالأولوية عنده لإعادة بناء الداخل الإسرائيلي وتشكيل إجماع وطني يتضمن طبعاً المستوطنين واليمين السياسي، والمتدينين المتشددين، ولكي يتحقق هذا الإجماع لم يجد باراك أفضل من التعويذة الإسرائيلية القديمة المتجددة، تعويذة اللاءات الخمس: لا للدولة الفلسطينية، لا للعودة لحدود 1967، لالتفكيك المستوطنات، لالحق العودة، ولالإعادة القدس الشرقية.

وفي ظل سلام إسرائيل الداخلي القائم على اللاءات الآنفة نطرح سؤالا محضاً: أي سلام من الممكن أن يقيمه باراك مع العرب، بل أي سلام يأمله العرب من باراك؟!

قد يقول البعض إن باراك أعلن أن الدولة الفلسطينية أمر واقع، واعتبر ذلك اعترافا من إسرائيل، لكن هذا القول لايستقيم بدون نصف الحقيقة الثاني الذي تخفيه حماسة جوقة باراك: أي دولة هذه التي لاتتجاوز في جوهرها البانتوستون، على غرار معازل جنوب أفريقيا في العهد العنصري،، كما يخطط أقطاب الحكومة الصهيونية؟ لتتحول الدولة المعزولة في وضع الاستيطان السرطاني، والطرق الالتفافية والأمنية إلى معازل محاصرة تفتقد الحد الأدنى من التواصل الجغرافي لأحد أهم مرتكزات الكيانات السيادية المستقلة.

لقد أكد باراك إن أي كلام عن تهديد عسكري فلسطيني لإسرائيل هو نكتة مضحكة، ورغم ذلك تستمر استراتيجية الإضعاف عبر التأكيد على ضرورة العمل لجعل الدولة الموعودة غير معادية ولاتشكل تهديداً! ولكن

هل فلسطين ضعيفة حل مناسب لمشاكل إسرائيل الأمنية التي تنبع من استمرار عدوانها وتجاهلها لحقوق الشعب الفلسطيني.

تقول الحكمة القديمة التي لايعرفها زعماء العصابة التي تحكم إسرائيل مهما كانت أسماؤهم: إن المبالغة في إخضاع الخصم وإضعافه وبالتالي إذلاله ستقود بالتأكيد إلى ردة فعل عكسية تحوله إلى عدو أشد خطراً، والشعب الفلسطيني ليس بحاجة للذرائع ليضع إسرائيل حيث تستحق تماماً في خانة أعدائه، والمزيد من الضغط سيفاقم العداء، ولن يأتي بأي نوع من أنواع السلام حتى لو كان مصنوعاً في أمريكا ويحمل أختاماً عربية.

وعلى المسار الفلسطيني أيضاً وعد باراك بتطبيق اتفاق واي، ولكن كيف؟ لقد سجل مبكراً اعتراضات عديدة على الاتفاق وهو سيعمل على تطبيقه ولكن بشروطه هو، أي بالترافق مع تحقيق تقدم ملموس في محادثات المرحلة النهائية، وهو شكل جديد لدمج الاتفاق بهذه المباحثات كما يفضل باراك، الذي أعلن بوضوح أنه ليس مقتنعاً باتفاق واي، وأضاف بغموض أن إسرائيل تلتزم بتعهداتها الدولية!!

ويمكننا أن نتوقع أن ربط المرحلتين سوف يؤدي إلى كارثة فلسطينية جديدة، حيث إنه مما يخشى منه أن يقدم الطرف الفلسطيني - كعادته - تنازلات جوهرية في الموضوعات الاستراتيجية في القدس واللاجئين مقابل الحصول على تقدمات باراك حول دولة فلسطينية بما لايتجاوز 50% من أراضي الضفة وتفكيك جزئي للمستوطنات وربما بعض المكاسب الإضافية من قبيل المر الآمن بين الضفة والقطاع وإطلاق سراح المعتقلين وعودة جزئية للنازحين عام 1967، وهذا في أحسن الأحوال.

ولاشك أن قضيتي القدس واللاجئين هما جوهر السلام الفلسطيني الممكن فبدون استعادة القدس وبدون عودة اللاجئين لايمكن لأي حل أن يمتد إلى مستقبل مريح؟

فسلام دون القدس التي هي النقطة الاستراتيجية الأكثر سخونة في الصراع الدائر وفي ضوء إصرار الحكومة الإسرائيلية على معاندة التاريخ وحقوق الشعب الفلسطيني وعروبة المدينة فإن أي سلام سيعقد على أساس تجاوز القدس ما هو إلا سلام ناقص ولن يقيض له الاستمرار، فالصراع هنا على الأرض والتاريخ والذاكرة والجذور. ومن ثم ماذا عن الأربعة ملايين ونصف المليون فلسطيني، في المنفى وكيف سيتم التفاعل مع قضيتهم؟ لاشك أن قضية اللاجئين تكتسب تعقيداً خاصاً جوهريا، وهي ستبقى مفتوحة



على احتمالات الحرب والسلم، فلا يمكن إحلال سلام بدون حل أحد أهم نتائج الكارثة الفلسطينية عام 1948، ولاشك انه ليس هناك حل معقول وعادل منطقي غير الإقرار بحق اللاجئين بالعودة إلى وطنهم كما نصت قرارات الشرعية الدولية وغير ذلك سيبقى أحد أعمق جراح النكبة - إضافة إلى اغتصاب الأرض - مفتوحاً على مصراعيه، ويبدو جلياً أن باراك لاينوي معالجة هذه القضية كما يفترض أن تحل، وهو مع أي حل باستثناء العودة كما صرح مؤخراً.

وفي سياق آخر يرفض باراك العودة إلى خطوط الرابع من حزيران، وهو ما أعاد التأكيد عليه في واشنطن، وهذه النقطة تشكل مرتكز السلام الممكن مع سوريا التي ترفض رفضاً قاطعاً الإبقاء على أي جزء من الجولان في حوزة إسرائيل فكيف سيتمكن باراك من حل هذه المعضلة في الوقت الذي لن تنفع فيه مناوراته الحزبية الداخلية في مفاوضاته مع سوريا التي تشترط الوضوح الكامل والانسحاب الكامل.

أقطاب حكومة باراك يحاولون كما يبدو فرض جدول أعمال معاكس تماماً للجدول السوري فبينما تصر سوريا في موقف واضح منذ بدء مسيرة السلام على أن الانسحاب الكامل شرطٌ أساسيٌ لعملية السلام، يتحدث الإسرائيليون عن ضرورة حل مشكلات المياه - تنهب إسرائيل ثلث مياهها من مرتفعات الجولان والثلثين من الضفة - والأمن والمشكلات الاقتصادية وحتى تبادل السفراء قبل رسم خرائط الانسحاب النهائية، التي يقولون إنها لن تعني كل الجولان، وبالتالي تريد إسرائيل أخذ السلام وغنائم الحرب معاً.!!

ويرتبط الحديث عن جنوب لبنان بالحديث عن سوريا، حيث ينعكس التناقض جلياً في تصريحات باراك، ففي الوقت الذي يؤكد وعده بالانسحاب من جنوب لبنان خلال عام يعود يقول إن الانسحاب من لبنان مرتبط بالسلام مع سوريا، وان هذا السلام يتوقع أن يتم في تشرين الثاني عام 2000، والسؤال: في ضوء جدول أعمال معاكس لجدول سوريا واستمرار باراك بوضع الشروط على السوريين حتى قبل الجلوس إلى طاولة المفاوضات، فأي سلام هذا الذي سيحققه باراك شتاء 2000، وهل فعلاً سوف يكون هناك انسحاب من جنوب لبنان ماعدا طبعاً الانسحاب القسري تحت ضربات المقاومة؟!!

أخيراً..يحق لنا أن نتساءل : هل فاتنا شيء ما فلم نتمكن من ملاحظة السبب الحقيقي وراء مهرجان الفرح الفلسطيني و العربي بقدوم باراك إلى السلطة؟ أم أننا اعتدنا خداع الذات والركون في غرفة المرايا، نرى الأشياء على غير حقيقتها؟ هل سيستمر الرهان على برنامج العدو وخياراته وتحالفاته الحزبية لحل مشاكلنا واستعادة حقوقنا؟

أسئلة مفتوحة على كرامة العرب (ماتبقى منها)وعلى إرادة هذه الأمة التي يبقى فيها الخير باعتقادنا فهل ننتظر قمة عربية شاملة تعيد الاعتبار لشتات الأمة، وتعيد من غاب من أبنائها وتؤسس لنهضة عربية، مشروعاً مضاداً للعدو.

لابد من برنامج شامل للمقاومة، للدفاع عن حقوق مستلبة وأرض ينتهبها الاستيطان وشعب تطارده المنافي في اتجاهات الريح جميعها، فهل نتحرك الآن أم نواصل انخداعنا بغرفة مرايا باراك!! ■■

حكومة باراك والاستحقاقات القادمة

سمير الزبن

قدم أيهود باراك في حملته الانتخابية حزمة واسعة من الوعود الإنتخابية لحل مشكلات إسرائيل العالقة، تبدأ من تحقيق تقدم في عملية السلام على كل المسارات، وتمر بمعالجة الأوضاع الاقتصادية ونسب البطالة العالية في إسرائيل، وتصل إلى معالجة الانقسامات الاثنية والدينية في إسرائيل عبر سن القوانين الأساسية للدولة وعلى رأسها وضع دستور لدولة إسرائيل. وقد اعتبر باراك نفسه مخلص دولة إسرائيل من التناقضات والانقسامات الداخلية التي تعيشها، وأنه سيعمل على أن يكون رئيساً لوزراء كل الشعب الإسرائيلي. وعززت النسبة العالية من الأصوات التي حصل عليها في الانتخابات لرئاسة الوزراء قناعته بدوره الوحد للمجتمع الإسرائيلي، فقد كان الفارق بينه وبين نتنياهو أكثر من ١٢ في المئة من الأصوات، مما يعني بالأرقام الإسرائيلية أن باراك هزم نتنياهو هزيمة ساحقة، رغم أن أغلب المراقبين اعتبروا أن نتنياهو خسر الانتخابات أكثر مما ربحها باراك.. ولم تكن هزيمة الليكود مقتصرة على انتخابات رئاسة الوزراء، بل انعكست أيضاً على تمثيل الليكود في الكنيست الإسرائيلي، حيث انخفضت مقاعده إلى ١٩ مقعداً فقط. وقد عكست هذه الانتخابات تشظياً واسعاً في الساحة السياسية الإسرائيلية، انعكست بزيادة وزن الأحزاب الصغيرة والدينية وخسارة الأحزاب الكبيرة للتمثيل في الكنيست الخامس عشر.

وبعد فوزه في الانتخابات، أعلن باراك أنه يسعى لتشكيل حكومة موسعة تضم أغلب الأحزاب الموجودة في الكنيست، وفتح المفاوضات الائتلافية مع الجميع وعلى رأسهم الليكود، ولكن المفاوضات الائتلافية مع الليكود فشلت في ضمه إلى حكومة باراك، مما دفع باراك إلى حركة شاس الدينية والتي زادت نسبة تمثيلها ٧٠ في المائة. فبعد أن كان لها ١٠ مقاعد في الكنيست السابق، أصبح لها في الكنيست الجديد ١٧ مقعداً.

على الرغم من فشل باراك في ضم الليكود إلى الائتلاف الحكومي، إلا أنه استطاع أن يشكل حكومة ائتلافية واسعة مع الأحزاب الأخرى، وقد حصلت هذه الحكومة في جلسة الثقة على أغلبية كبيرة في الكنيست وصلت إلى تأييد ٧٥ نائباً، دون النواب العرب الذين امتنعوا عن التصويت لصالح الحكومة. وقد تشكلت حكومة باراك من طيف واسع من الأحزاب الإسرائيلية، شملت كل التلاوين السياسية الموجودة في الساحة السياسية الإسرائيلية، من اليمين واليسار والوسط. وكان من اللافت أن حكومة باراك الجديدة قد أعادت ثمانية وزراء، شغلوا مناصب وزارية في حكومة نتنياهو السابقة. كان باراك قد جمعهم بسبب احتجاجهم على سياسة نتنياهو، وكانوا عاملاً حاسماً في سقوط الأخير من رئاسة الحكومة الإسرائيلية.

أعطى التأييد الكبير الذي حصلت عليه حكومة باراك في الكنيست الانطباع بان هذه الحكومة قادرة على السير بعملية «السلام» وتحقيق تقدم على كافة المسارات التفاوضية مع العرب، وأن هذه الحكومة التي تحظى بثقة واسعة تملك التفويض بالسير في هذا الطريق، هذا من جهة ولنفس الاعتبارات أعطت هذه الحكومة الانطباع بقدرتها على تحقيق الوحدة داخل المجتمع الإسرائيلي الذي يعاني من استقطابات حادة من جهة أخرى. وقد بدأ باراك عهده الجديد بالوعد بالنصر الكامل، وقال في خطاب الثقة في حكومته «إن نصر الصهيونية لن يكون كاملاً حتى يتحقق السلام الأمن والشامل، مع مصر والأردن وسوريا ولبنان والفلسطينيين، مع الحفاظ على المصالح الحيوية لدولة إسرائيل». وقد تولى باراك رئاسة الحكومة وهو يعد بأنه سيكون «رئيس وزراء للجميع» حيث يتراوح شركاؤه في الائتلاف بين علمانيين متشددين إلى رجال دين متطرفين ومن يسارين دعاة قيام دولة فلسطينية إلى يمينيين من دعاة بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة. وفي ظل هذه التلاوين على باراك أن يسير إلى الأمام داخلياً وخارجياً، على مستوى المفاوضات وعلىمستوى المصالحة الداخلية الإسرائيلية، ولكن من الواضح أنه مع سير الحكومة إلى الأمام بأي اتجاه، فإن باراك لن يستطيع أن يرضي الجميع.

عادة يمنح المراقبون الحكومة الإسرائيلية فرصة المئة يوم ـ على الطريقة الغربية ـ للحكم على أداء الحكومة الجديدة، ومدى التزامها الاتجاهات التي حددتها خطوطها الرئيسية. ولكن مع حكومة باراك الواسعة غير المتجانسة والأداء التفاوضي الائتلافي يمكن القول أن هذه الحكومة الواسعة لن تصمد طويلاً على نموذجها القائم، وفكرة أن الحكومة الواسعة، هي حكومة قادرة على تنفيذ خططها، هي فكرة خاطئة في الساحة السياسية الإسرائيلية، فحكومة أوسع لاتعني أداءً أفضل، بل كلما كانت الحكومة أوسع كلما كانت القيود عليها أكبر، وتصبح حركة الحكومة أبطأ. والمثال النموذجي على هذا الأداء، هو حكومات الوحدة الوطنية التي مرت على إسرائيل فقد كانت هذه الحكومات غير قادرة على السير بأي اتجاه، وقد أطلق بعض المراقبين على حكومات «الوحدة الوطنية» في إسرائيل، حكومات «الشلل الوطني». لذلك لن تصمد هذه الحكومة على هذه السعة مع تقدم باراك في خياراته سواء الداخلية أو على مستوى عملية المفاوضات، إلا إذا أراد باراك أن تكون حكومته الموسعة حكومة شلل وطني لاتريد أن تتقدم إلى الأمام، وهذه السياسة لم تعد تصلح في إسرائيل بعد تجربة نتنياهو القاسية.

إن التقدم في المفاوضات مع الأطراف العربية، لايمكن أن يكون جدياً ـ خاصة على المسار الفلسطيني ـ من طرف الحكومة الإسرائيلية، دون اتخاذ إجراءات على مستوى الاستيطان، وعلى مستوى تنفيذ



الاتفاقات الموقعة مع الفلسطينيين، وهي استحقاقات كان يجب تنفيذها منذ زمن. وبشأن الاستيطان، على باراك أن يتخذ على الأقل تلك الاجراءات التي اتخذتها حكومة رابين في العام ١٩٩٢، واعتبرتها الأحزاب اليمينية الاسرائيلية في حينها سياسة «تجفيف الاستيطان». وهي سياسة استيطانية فعالة غير معلنة. ففي الوقت الذي أعلن فيه رابين تجميد الاستيطان السياسي، والحفاظ على النمو الطبيعي في المستوطنات، فقد ازداد عدد المستوطنين في عهد رابين ٥٠ في المائة، مما دفع نتنياهو عند استلام السلطة أن يقول وفي الولايات المتحدة، أنه «يجب أن لايطلب منه أن يفعل أقل مما فعل رابين». وقد كرر باراك ذات الموقف من أنه «لن يبني مستوطنات جديدة، ولكنه لن يفكك القائمة» وأنه سيلتزم ما قررته الحكومة السابقة، وهذا الفرق جوهري، فالنمو الطبيعي الذي تحدث عنه باراك يشمل أكثر من ٤٠ بؤرة استيطانية زرعها الليكود في الأراضي الفلسطينية خلال السنوات الثلاث الماضية، وهي تحتاج لسنوات من البناء وتصدير المستوطنين إليها. فباراك يقول أنه لن يبني مستوطنات جديدة، ولكنه لايقول أنه لن يوسع القائمة، وفي كلتا الحالتين فإن سياسة الاستيطان قائمة على قدم وساق تؤدي الوظائف المطلوبة منها بقضم الأراضي الفلسطينية. فسياسة جديدة بشأن الاستيطان لايمكن جمعها مع أحزاب مثل «المفدال» و «إسرائيل بعليا»، لذلك يسعى باراك للتوفيق بين مطالب الأحزاب المتمسكة بالاستيطان وإعطاء إشارات ايجابية بشأن الاستيطان للرأي العام العالمي، لتعطي إسرائيل مصداقية، ولاشك بأن هذه الإجراءات ستكون شكلية، وستقبلها الولايات المتحدة على قاعدة أنها إشارات إيجابية من الحكومة الإسرائيلية. فالاشارات الايجابية بشأن الاستيطان ستدفع باتجاه تمردات داخل حكومة باراك من قبل الأحزاب اليمينية، وهذا لايحتاجه باراك في هذا الوقت، وفي حال حدوثه سيواجه باراك بضغوط من حزب المفدال وحلفائه بدعم الاستيطان، تصل لحد الخروج من الحكومة، مما سيعمل على تقليص اتساعها، وفي حال إبقاء السياسة الداعمة للاستيطان، سيواجه باراك بضغوط أخرى من حزب مريتس لإعطاء الإشارات الايجابية المطلوبة.

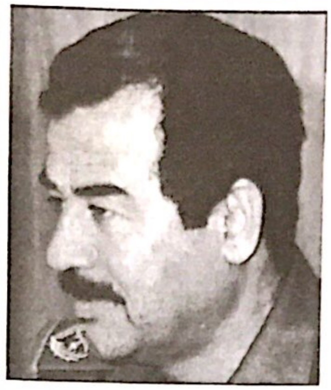
رفع باراك خلال حملته الانتخابية من سقف التوقعات، رغم لاءاته الشهيرة، وبات الجميع مقتنعاً بانه سيعمل على دفع جميع المسارات إلى الأمام، ولاشك بأن هذا الدفع يحتاج إلى تنفيذ الاتفاقات الموقعة والتي يطالب الفلسطينيون بتنفيذها. ومنذ فوزه في الانتخابات يحاول باراك خفض التوقعات، خاصة الفلسطينية بشأن تطبيق الاتفاقات، وكان موقفه واضحاً في تنفيذ اتفاق واي بلانتيشن. عندما قال أنه يفضل تنفيذ المرحلة الثانية من الانسحاب، ودمج المرحلة الثالثة مع قضايا الحل النهائي. وبالرغم من كل المؤشرات التي أطلقها باراك حتى الآن، من أن المفاوضات معه لن تكون سهلة، وأن حجم التوقعات منه أكبر مما سيقدمه لإبداء حسن النية. إلا أن البعض مازال مصراً على أن باراك سيقدم كل شيء. وقد كتب زئيف شيف المعلق الإسرائيلي في هآرتس ٧/٩ معتبراً أن «الفلسطينيين يبالغون في تفاؤلهم»، وبذلك لن يكون تقدم باراك كما يتوقع المتفائلون. الفلسطينيون منهم والعرب أيضاً.

لايكمن التناقض في حكومة باراك بشأن المفاوضات فحسب، فهذه الحكومة تعاني من تناقض آخر يخترق المجتمع الإسرائيلي، وهو التناقض بين المتدينين والعلمانيين. ففي الوقت الذي تضم حكومته اليسار العلماني، فهي تضم أيضاً المتدينين، وقد كانت حملة كلٍ من الطرفين في مواجهة الأخرى. وقد وعد باراك أثناء حملته الانتخابية بصياغة القوانين الأساسية بما فيها الدستور وفرض الخدمة العسكرية على الطلاب المتدينين والتي تعارض حركة شاس خدمتهم في الجيش. وبالتالي فإن أي إجراء تتخذه حكومة باراك لصالح هذا الطرف أو ذاك في الصراع العلماني ـ الديني في إسرائيل سيواجه باراك بتمردات من أحد الطرفين.

لاشك بأن لحكومة باراك خياراتها، وبناء على هذه الخيارات سيتحدد حجم الحكومة القائمة، والتي لن تبقى موسعة، وكما يعتقد العديد من المحللين في إسرائيل، فإن حكومة باراك التي تضم هذا الخليط غير المتجانس لايمكن أن تستمر أكثر من عام. بذلك ستعود هذه الحكومة إلى حجمها الطبيعي المتجانس بتقلص الحكومة إلى حزب العمل والأحزاب اليسارية. وفي مثل هذه الحالة، ستعود حكومة باراك إلى ما لايرغب في اعتماد حكومته على أصوات العرب، وهو ما لايريده باراك، لذلك من المستبعد أن يقدم على خطوات جريئة باتجاه أي من القضايا المطروحة على الحكومة.

ومن المكن قراءة سياسة حكومة باراك، الذي يفضل العمل وحيداً، من تعييناته لأعضاء حزبه في الحكومة، حيث تم إبعاد الحمائم يوسي بيلين إلى وزارة العدل، وشلومو بن عالي إلى وزارة الأمن الداخلي، وإبعادهم عن التأثير في عملية المفاوضات. كما استبعد باراك من تشكيلته كل من عوزي برعام وإبراهام بورغ اللذين حصلا على أعلى الأصوات في الانتخابات الداخلية في حزب العمل، مفضلاً إحاطة نفسه بمجموعة من المخلصين، وقد ظهر أول تمرد في الحزب بإسقاط مرشحه لرئاسة الكنيست، ودعم إبراهام بورغ الذي نجح في الحصول على المنصب وتم تفسير سلوك باراك، بأنه الرجل العسكري الذي لم يتخلص من هذا الأداء عندما انتقل إلى السياسة، ولكن التفرد سيكون ميزة باراك بعد احتفاظه لنفسه بوزارة الدفاع، وهو ما يقرّب سلوكه من سلوك نتنياهو. وبذلك فإن بعض الآمال التي بنيت على نجاح باراك ربما ستتساقط الواحدة بعد الأخرى، ليس على مستوى عملية المفاوضات فحسب، بل وعلى مستوى السياسة الداخلية الإسرائيلية■■

د. جورج حبش يبرق للرئيس صدام حسين بمناسبة ذكرى ثورة تموز



سيادة الرئيس صدام حسين
الأمين العام لحزب البعث العربي الإشتراكي
رئيس الجمهورية العراقية

تحية فلسطين والعروبة وبعد:

بمناسبة احتفالاتكم بذكرى ثورة ١٧-٣٠ تموز المجيدة، يسعدني أن أتقدم إليكم باسم شعبنا العربي الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وباسم اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكافة كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن والشتات، وباسمي شخصياً ومن خلالكم للشعب العراقي الشقيق بأحر التهاني وأطيب التبريكات.

سيادة الرئيس:

إن ثورة ١٧-٣٠ تموز المجيدة شكلت محطة مضيئة في تاريخ العراق والأمة العربية وصفحة مشرقة من صفحات النضال البطولي الذي خاضه الشعب العراقي البطل في وجه أعتى امبراطوريات الشر والعدوان، قدم خلالها التضحيات الجسام محطماً بذلك كل القيود التي كانت تكبل العراق وتعزله عن عمقه العربي لتكريس التجزئة ونهب ثروات الأمة والسيطرة على مقدراتها.

وفي ظل هذه الذكرى المجيدة عاودت الإمبريالية العالمية بقيادة أمريكا وحليفتها بريطانيا والصهيونية العالمية ضرب العراق بكافة أنواع الأسلحة وأكثرها فتكاً وتدميراً نافثةً سموم حقدها الأسود لكسر صموده شعباً وقيادةً، ولتحقيق أهدافها اللئيمة في تقسيم العراق وضرب وحدته الوطنية لتكريس حالة التمزق التي تعاني منها الأمة العربية.

سيادة الرئيس،

إننا لعلى ثقة تامة بأن شعب العراق الذي سجل أروع صور الصمود في وجه العربدة الأمريكية وواجه آلتها العسكرية بصدور أبنائه الشجعان لقادر على الاستمرار بالصمود والمقاومة والنهوض من جديد وتحقيق النصر.

سيادة الرئيس،

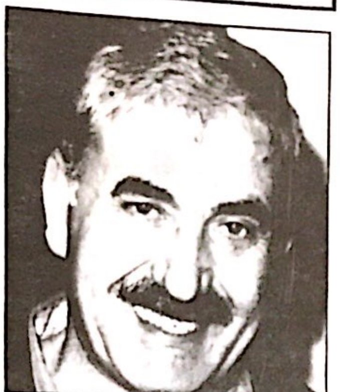
إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نؤكد لكم وقوف شعبنا العربي الفلسطيني معكم في معركة الشرف والإباء، التي تخوضونها في وجه أعداء الأمة العربية وعلى رأسهم الولايات المتحدةالأمريكية عدوة الشعوب المناضلة التواقة للحرية، وسنستمر في النضال جنباً إلى جنب مع كل القوى الفلسطينية والعربية الوطنية والديمقراطية، من أجل إحقاق الحقوق العربية والحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وفي المقدمة منها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

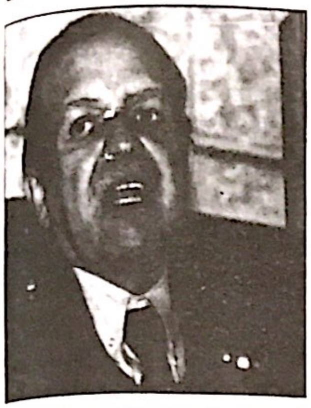
مرةً أخرى نغتنم هذه الفرصة لنجدد لكم أحرَ التهاني وأطيب التبريكات بمناسبة ثورة ١٧-٣٠ تموز المجيدة، متمنياً لكم موفور الصحة والسعادة، وللشعب العراقي الشقيق مزيداً من التقدم والازدهار.

وإننا نتطلع لمزيدٍ من تطوير العلاقات الأخوية والكفاحية بين شعبينا وحزبينا الشقيقين بما يخدم آمال وأهداف أمتنا العربية العظيمة.

د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين

ويبرق للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة استقلال الجزائر





سيادة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة المحترم
رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

تحية فلسطين والعروبة وبعد

يسعدني أن أتقدم باسم رفاقي في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكافة كوادرها وأعضائها وباسم شعبنا العربي الفلسطيني في كافة أماكن تواجده وباسمي شخصياً ومن خلالكم للشعب الجزائري الشقيق بأحر التهاني وأطيب التبريكات بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين لاستقلال الجزائر الشقيقة.

سيادة الرئيس

في غمرة احتفالاتكم بذكرى الإستقلال المجيدة نشارككم فرحتكم والشعب الجزائري الشقيق، ولايسعني إلا أن أثمّن موقف سيادتكم بالمبادرة الشجاعة والجريئة في المصالحة الوطنية التي تعود على الشعب الجزائري بالأمن والإستقرار ويضع حداً لكل حالات العنف التي ألحقت الأذى بالجزائر.

سيادة الرئيس

إن إرساء دعائم الأمن والإستقرار التي تقومون بها بخطىً حثيثة وشجاعة وبكل عزيمة قوية وإرادة صلبة، بالتأكيد ستطلق عجلة التنمية والتطور في الجزائر.

لقد لعبت الجزائر دوراً ريادياً على كافة الأصعدة الأفريقية والعربية والدولية، وحظيت القضية الفلسطينية بكل الدع[م] والتأييد، وكانت الجزائر مع فلسطين وشعبها دائماً وأبداً.

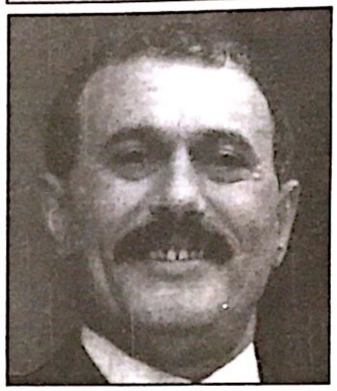
إن الأمة العربية والشعب الفلسطيني بأمس الحاجة لجزائ[ر] مستقرة، حاضرة في وجدان شعبنا خاصة في مثل هذ[ه] الظروف التي تمر بها قضيتنا والأمة العربية جراء الهجمة الشرسة التي تشن عليها من قبل أعدائها، وهذا يتطلب ر[ص] الصفوف ومواجهة كل التحديات وإننا لعلى ثقة عالية بالجزائر وشعبها المناضل وقيادتها الحكيمة بأن تلعب دورها الطليعي كما عهدناها.

سيادة الرئيس

أغتنم هذه الفرصة المجيدة لأجدد لكم أحر تهانينا وأطيب تبريكاتنا ونشد على أيديكم متمنياً لكم موفور الصح[ة] والسعادة وللشعب الجزائري الشقيق كل الإستقرار والتطو[ر] والإزدهار، ونتطلع إلى تمتين العلاقات الكفاحية والأخوية بين شعبينا.

أخوكم د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين

ويبرق للرئيس اليمني علي عبد الله صالح بمناسبة انعقاد المؤتمر السادس للمؤتمر الشعبي العام



الأخ الرئيس علي عبد الله صالح المحترم
رئيس جمهورية اليمن الشقيق
الأخوة أعضاء المؤتمر الشعبي العام

بمناسبة انعقاد المؤتمر السادس للمؤتمر الشعبي العام، يسرني أن أتقدم لكم باسم الشعب الفلسطيني وباسم اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكافة كوادرها وأعضائها وأصدقائها وباسمي شخصياً ومن خلالكم لأعضاء المؤتمر وللشعب العربي اليمني الشقيق بأحر التهاني القلبية وأصدق مشاعر التضامن الأخوية بهذه المناسبة الهامة.

الأخ الرئيس

تأتي مناسبة انعقاد مؤتمركم العتيد في ظل انجازكم للوحدة اليمنية المباركة والتي نتطلع لتعزيزها وتصليبها وتطوير الديمقراطية، ليكون اليمن أكثر قدرة على ممارسة دوره القومي، في ظل المخاطر التي تعصف بالأمة العربية مهددة حاضرها ومستقبلها.

وفي هذا السياق تتعرض قضيتنا الفلسطينية لأخطر مؤامرة سياسية بهدف تصفيتها عبر سياسة التنازلات والإتفاقيات الإستسلامية التي سارت بها القيادة المتنفذة في م.ت.ف مفرطة بأبسط الحقوق الوطنية والقومية.

إن قضيتنا الفلسطينية وفي هذه اللحظة بالذات وأكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى تضافر جهودكم وجهود كل المناضلين الشرفاء في أمتنا العظيمة للتصدي لهذه المؤامرة والحد من نتائجها المدمرة.

أخي المناضل

في الوقت الذي أجدد لكم ومن خلالكم لأعضاء المؤتمر تهانينا القلبية بعقد مؤتمركم الموقر، نتطلع إلى تعزيز وتطوير العلاقات الأخوية بين حزبينا وشعبينا الشقيقين.

متمنياً لكم النجاح والتوفيق في إنجاز مهام مؤتمركم، لكم موفور الصحة وللشعب اليمني الشقيق التقدم والازدهار.

أخوكم د. جورج حبش

د. جورج حبش والرفيق أبو علي مصطفى يبرقان للتعزية بالمناضل سعدي دبور

الأفاضل/ عقيلة وأبناء المرحوم الصديق العزيز
الدكتور سعدي دبور/ عمان
آل دبور الكرام

صدمنا بخبر وفاة الصديق العزيز د. سعدي، الذي عرفناه أخاً طيباً ورفيقاً مناضلاً في سبيل قضايا الشعب والأمة، وطبيباً ناجحاً في خدمة الناس.

إنه لمصاب فاجع، نعزيكم بالفقيد بالنيابة عن عموم قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبالأصالة عن نفسينا.

للصديق الرحمة ولكم الصبر والسلوان

جورج حبش أبوعلي مصطفى
دمشق في ١٩٩٩/٧/٧

أمسية ثقافية بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين

بمناسبة الذكرى ٥١ لإغتصاب فلسطين أقامت اللجان الشعبية في منطقة شمال لبنان حفلاً لتسليم الجوائز على الفائزين في مسابقتها الثقافية وذلك بحضور النائب خالد ظاهر وقيادة المقاومة واللجان الشعبية ونائب مدير المنطقة ومدير التعليم، ومدراء المخيمات في الأونروا إضافة إلى مدراء المدارس والمعلمين من مدارس الشمال إضافة إلى المؤسسات المهنية والتربوية والثقافية وحشد من الأهالي والطلاب.

- افتتح الحفل بقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء.

- كلمة عريف الاحتفال د. صلاح الدين هواري الذي أشار إلى المناسبة مؤكداً على أهميتها وعلى التواصل والتواد بين الأجيال، حاثاً الجيل الجديد على قراءة تاريخ فلسطين.

- كلمة النائب خالد ظاهر الذي أشار إلى أن فلسطين وقف إسلامي لايمكن لأحد التفريط بها، ومنددا بكل الإتفاقيات المعقودة مع العدو.

- كلمة الطلاب ألقتها الطالبة إكرام قيس التي شكرت اللجان الشعبية على المسابقة والتي أعادتهم مرة أخرى إلى فلسطين ولتحسسهم بالمسؤولية تجاهها.

- كلمة اللجان الشعبية ألقاها أبو حسام الذي تحدث عن أهمية الحدث وأن اللجان الشعبية وقفت أمام المناسبات الوطنية من أجل إحيائها لتجديد الذاكرة، مؤكداً على عمل كراس عن تاريخ وجغرافيا فلسطين من قبل أساتذة الإجتماعيات مذكراً ببرنامج اللجان الشعبية ضد سياسة الأنروا، التقليص والتخفيض.

- كلمة المقاومة الفلسطينية ألقاها الرفيق أبو جابر الذي شكر القيمين على المسابقة منوهاً بأنها ذكّرته بكل تضاريس فلسطين / جبال/أنهار/سهول/ حضارة/ مهبط رسالات سماوية/ وتاريخ للثورات والشهداء من جمجوم والزير وحجازي مروراً بالشيخ القسام وعبد القادر حسيني.

- وتحدث أبو جابر كيف أن بن غوريون قال عندما يموت الجيل القديم سينسى الجيل الجديد لكنه خاب ظنه وقامت الثورة الفلسطينية المعاصرة.

ونبّه الشباب أنه يقع عليهم عبء التحرير وهم بيدهم المستقبل، مؤكداً أنه سلاحهم الوحيد لمقارعة العدو هو نهل العلم والمعرفة للتفوق عليه.

وقال لماذا حصلت الهزيمة وكيف هزمنا؟ كيف نفذ العدو من خلالنا تفككنا وضعفنا؟ وأشار نتغلب على الهزيمة عندما نجري مراجعة ويجري تعظيم القوة لهذه الأمة، والعمل أفضل ما عندنا، وأشار إلى الإتفاقيات التي لم تعطي شعبنا سوى الذل والهوان ودعا إلى تشكيل مرجعية فلسطينية عبر انتخاب مجالس شعبية في المخيمات وتشكيل لجان شعبية من الفصائل والمنتخبين من مجالس الأحياء والهيئات المهنية المنتخبة والكفاءات مقدمة لتشكيل مرجعية منتخبة لكل لبنان كي تضع كل الملفات التي تهم شعبنا أمامه.

- ودعا إلى التفاوض مع الدولة اللبنانية بوفد موحد.

- أما بخصوص ما يحدث في لبنان فنحن مع القانون وسيادة القانون وتأمين العدالة، وضد الجزر الأمنية، ونشكر الرئيس ودولة الرئيس فيما يخص الشعب الفلسطيني إزاء أحداث صيدا ونحن نعزي الدولة اللبنانية والشعب اللبناني بشهداء القضاء وشهداء الغارات الإسرائيلية على المحطات والجسور وتدعو العهد إلى الضرب بيد من حديد على من

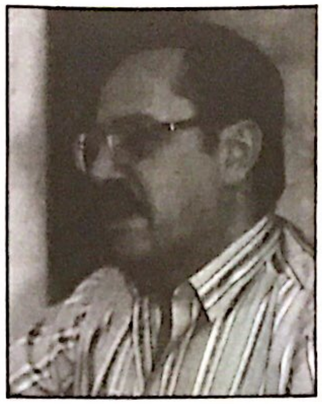
11-11

الرفيق أبو علي مصطفى في برنامج الإتجاه المعاكس يدعو للوحدة في مقاومة الإحتلال وبناء مؤسسات م.ت.ف على أسس ديمقراطية وشاملة

دعا الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام، من الدوحة في برنامج «الإتجاه المعاكس» في تلفزيون الجزيرة القطري الذي استضافه يوم الثلاثاء ٧/١٣ مع السيد ياسر عبد ربه وزير الثقافة والإعلام في السلطة الفلسطينية إلى ضرورة حشد طاقات الشعب الفلسطيني والحفاظ على وحدته السياسية، في ظل المعطيات السياسية التي تمر بها القضية، وحدّد قاعدتين أساسيتين لبناء الوحدة الوطنية، حيث قال موجهاً كلامه لجميع القوى الفلسطينية: تعالوا نتفق على مهمتين مباشرتين: الأولى مقاومة الاحتلال الصهيوني والثانية بناء مؤسسات م.ت.ف على أسس جديده وديمقراطية لاستعادة دورها كمرجعية وطنية واحدة وموحدة للشعب الفلسطيني في الوطن والشتات.

وفي رده على سؤال إذا كان التقدم على المسارين السوري واللبناني سيحمل مخاطر سلبية على القضية الفلسطينية، قال الرفيق أبو علي: إن القضية الفلسطينية تشغل مكاناً مركزياً في الصراع العربي ـ الصهيوني، وأكد على أن انسحاب الاحتلال من الجولان حتى حدود ٤ حزيران، واندحاره عن جنوب لبنان بفضل المقاومة اللبنانية لهو مكسب وعنصر قوة للشعب والقضية الفلسطينية، لأنه في حال نفذت إسرائيل قرار ٤٢٥ في لبنان وانسحبت من الجولان، لهو دليل على قوة السياسة السورية المبدئية في الثوابت والبْرعة في التكتيك.

كما وأضاف الرفيق أبو علي بالتأكيد على ضرورة عدم الفزع



من البالونات الاختبارية التي بدأت حكومة باراك بإطلاقها بهدف إثارة أجواء مريضة بين بعض الحكومات العربية والفلسطينيين واستخدام هذه الأجواء لابتزاز الأطراف الساعية لتسويات سياسة.

وفي رده على سؤال آخر قال الرفيق أبو علي: إن على القيادة الرسمية الفلسطينية أن تستخلص الدروس من نتائج سياساتها منذ مرحلة اتفاقات أوسلو التي تعيش الآن مازقاً حقيقياً باعتراف كل الأطراف ودعا القيادة الفلسطينية، إلى الاحتكام للشعب الفلسطيني في تقوية عامله الذاتي بمواجهة الاحتلال، كي تكون له حاضنة عربية داعمة لكفاحه، والتي افتقدتها السياسة الفلسطينية على امتداد السنوات الماضية، منذ اتفاقات أوسلو، وفي هذا السياق أكد الرفيق أبو علي على ضرورة الديمقراطية واستفتاء الشعب في المسائل الأساسية في الوطن والشتات، مؤكداً على أن هذا السلوك (رغم صعوبات تطبيقه) ضروري وأساسي.

ورداً على سؤال لماذا لايعود الرفيق أبو علي مصطفى إلى الداخل ليواصل نضاله من هناك أجاب: إنه حاول العودة فعلاً في عام ١٩٩٦ إلا أنه منع من الدخول إلى الوطن من قبل سلطات الاحتلال واعتبر العودة للوطن حقاً لكل فلسطيني، وفي هذا السياق أكد على أن العودة الفردية لأي فلسطيني، لايجب أن تغيب مهمة النضال لممارسة حق العودة الجماعية للفلسطينيين المشردين إلى ديارهم في كل فلسطين.

وحول مكانة ومستقبل المعارضة الوطنية الفلسطينية قال الرفيق أبو علي مصطفى، إنها توجد كقوى سياسية واجتماعية، حيث يوجد الشعب الفلسطيني، وللمعارضة حق مشروع في أن تقوم بدورها رغم أية اتفاقات وسيبقى لها دور وطني راهن ومستقبلي.

وفي بداية المناظرة أشار الرفيق أبو علي لأساسيات السياسة الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ بأنها تقوم على مرتكزات ثلاثة وضعها ايغال آلون، وقال أن باراك معجب بها وهي:

أ ـ عدم العودة لحدود ٤ حزيران.

ب ـ بناء المستوطنات الأمنية.

ج ـ الحل الإقليمي الوسط.

لذا لاعجب عندما نسمع التوحد الإسرائيلي سواء بقيادة نتنياهو أو باراك على اللاءات المعروفة، والتي يعني التمسك بها وخاصة قضايا القدس والاستيطان وحق العودة، استمرار الصراع الذي لن تحتويه أية اتفاقات.

هذا وقد استمرت المناظرة حوالي ساعتين، واتسمت بروح الحوار البناء والمسؤول من أجل وصول الفكرة بعيداً عن الإثارة، وقريبة من العقل.

تصريح صحفي

أكد الناطق بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أن التحضيرات الجارية هذه الأيام، لإطلاق حوارات وطنية فلسطينية ثنائية ومتعددة المستويات، لمناقشة التطورات السياسية المتلاحقة، ولاستخلاص النتائج الضرورية من تجربة السنوات الخمس الماضية.

وأضاف الناطق: إن المتغيرات السياسية التي وقعت خلال الأشهر القليلة الماضية، جعلت من المبادرة إلى فتح حوار وطني فلسطيني أمراً ضرورياً. وذلك لتوحيد الصفوف ومجابهة التحديات والمخاطر المحدقة بالقضية الوطنية الفلسطينية، وتحقيقاً لأهداف شعبنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة.

وشدد الناطق باسم الجبهة الشعبية على الأهمية القصوى لاستنهاض قوى شعبنا وتعميق الشعور بالمسؤولية الجماعية إزاء استحقاقات المرحلة القادمة، وبذل كل الجهود الممكنة لاعادة بناء مؤسسات م.ت.ف واستعادة دورها وإطلاق فعالياتها، لتمكين الشعب الفلسطيني من الوقوف صفاً واحداً، لتحقيق أهداف شعبنا في التحرر من ربقة الاحتلال وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين
١٩٩٩/٧/٢١

اللاجئون وحق العودة

د. عبد الله أبو عيد*



خلال النزاع المرير بين الحركة الصهيونية والشعب الفلسطيني قامت المنظمات الصهيونية بطرد وتهجير نسبة كبيرة من ابناء هذا الشعب. لقد كان أحد أهم نتائج حرب ١٩٤٨ تهجير حوالي ٦٠٪ من أبناء الشعب الفلسطيني، إذ بلغ عدد من أصبحوا لاجئين خلال صيف ١٩٤٨ حوالي ثمانمائة ألف مواطن فلسطيني.

وهناك عدد كبير من الأدلة الثابتة على قيام القيادات الصهيونية، وعلى رأسها دافيد بن غوريون، أول رئيس لوزراء إسرائيل ورئيس الوكالة اليهودية قبل قيام الدولة العبرية، بأعمال طرد جماعية منظمة معظمها كان قد خطط له بدقة وقد استخدمت في عمليات التطهير العرقي هذه معظم الوسائل والأساليب التي استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية، وإن يكن على نطاق أضيق، وكان هدفها الرئيس طرد أكبر عدد من السكان العرب الفلسطينيين لتكون الدولة العبرية نظيفة من العرق العربي، وللإستيلاء على أملاك هؤلاء المطرودين وقراهم ومدنهم لإسكان عشرات آلاف اليهود، الذين قامت المنظمات الصهيونية بإحضارهم إلى فلسطين من أوروبا، وأنحاء مختلفة من العالم مستغلة التعاطف الدولي الواسع معهم جراء المأساة الرهيبة التي أصابتهم على أيدي النازيين.

بالإضافة إلى ذلك فقد هرب عشرات الآلاف من المدنيين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة خلال حرب حزيران ١٩٦٧ وبعدها، إما بسبب الخوف من جنود الإحتلال أو لقيام سلطات الإحتلال الإسرائيلي بدب الرعب في قلوبهم وتشجيعهم على المغادرة بوسائل عدة.

وعلى الرغم من محاولة عدد كبير ممن هربوا خلال هذه الحرب إلى عمان والأراضي المجاورة العودة إلى الضفة الغربية إلا أن سلطات الإحتلال منعتهم من العودة وهناك أدلة عديدة سجلتها الصحافة ووسائل الإعلام الغربية على قيام العديد من ضباط الجيش الإسرائيلي باستخدام وسائل متطورة من الحرب النفسية للضغط على المواطنين وحثهم على ترك وطنهم والهرب إلى الدول المجاورة، كما وأن قيادة الجيش الإسرائيلي قامت مباشرة بطرد سكان بعض القرى العربية وهدمت بيوتهم ومنعتهم من العودة إليها متذرعة بدواع أمنية مزعومة.

وتتسم مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بسمات خاصة قلما تتصف بها مشاكل اللاجئين الآخرين في أنحاء المعمورة، ومن أهم هذه السمات:

١- أن بعض اللاجئين، أصبحوا لاجئين مرتين أو ثلاث مرات خلال عقدين من الزمن، كما وأن هناك آلاف اللاجئين طردوا من المناطق التي خضعت لسلطة قوات الجيش الإسرائيلي بعد إعلان دولة إسرائيل. أي أن سلطات الجيش والدولة قامت بطردهم بقصد التطهير العرقي.

٢- إن عشرات الآلاف من السكان الفلسطينيين أصبحوا لاجئين في داخل الدولة العبرية بعد قيام السلطات الإسرائيلية بإخلاء قراهم وهدم بعضها لمنع المهجرين من العودة إليها كما حدث مع قريتي إقرت وكفر برعم في الجليل الأعلى.

٣- إن السلطات الإسرائيلية أصدرت القوانين لتشريع إستيلائها على أملاك هؤلاء اللاجئين ولتوزيعها على القرى التعاونية المجاورة لها ولإقامة الكيبوتسات عليها.

٤- إن السلطات الإسرائيلية جلبت مئات الآلاف من المهاجرين اليهود من كافة أنحاء العالم ليحلوا محل هؤلاء اللاجئين وللإستيلاء على أملاكهم والإقامة على أراضيهم وكأنهم ورثوها وتملكوها.

٥- إن الهدف الأساسي لكافة هذه الإجراءات الإسرائيلية كان تكريس طرد الفلسطينيين ومنع عودتهم وحرمانهم من حقهم في تقرير المصير، وكذلك إخفاء معالم القضية بفرض واقع جديد، وقوانين هادفة لفرض هذا الواقع الجديد ولمحو معالم الماضي.

وبذلك أصبح أكثر من نصف الشعب الفلسطيني مهجراً تهجيراً قسرياً، ويقيم في الدول المجاورة أو في مناطق أخرى نائية كأستراليا والولايات المتحدة وكندا. تولت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة بعد إنشائها مهمة الإهتمام بالجوانب الإنسانية المتعلقة باللاجئين المقيمين في مخيمات تقع في الضفة الغربية وقطاع غزة، أو في الدول العربية المجاورة. وتدل تقارير الوكالة على أن عدد هؤلاء قد بلغ أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ.

أولاً: اللاجئون الفلسطينيون والقانون الدولي

يطلق الكثير من الكتاب والقانونيين على اللاجئين الفلسطينيين تعبير «المهجرون القسريون» أو «المهجرون الفلسطينيون» (Displaced Palestinians) ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى تعريف القانون الدولي للاجئ وفقاً لما نص عليه دستور المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNHCR) ولكون هؤلاء قد هجروا قسرياً من قبل السلطات الإسرائيلية كما سبق الإشارة.

وقد أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٠ وكالة غوث اللاجئين (UNRWA) لإغاثة وتشغيل هؤلاء المهجرين، وبذلك اعتبر اللاجئون الفلسطينيون مميزين عن غيرهم من اللاجئين في مناطق أخرى في العالم، بحيث خرجوا عن كونهم يصنفون كلاجئين دوليين وفقاً للمفهوم القانوني الدقيق لهذا التعبير.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن منظمة الأمم المتحدة أولت قضية هؤلاء اللاجئين أهمية كبيرة بعد عام ١٩٤٨ فأصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٩٤ الذي ينص، ضمن أمور أخرى، على حق هؤلاء اللاجئين في العودة إلى وطنهم أو التعويض المادي لمن لايرغب منهم في العودة.

وبذلك أصبح للاجئ الفلسطيني وضع قانوني مميز، ونشأت له حقوق عديدة تجاه المجتمع الدولي أهمها حقه في العودة إلى وطنه، وفي التعويض عن أملاكه.

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة كررت مرات عديدة ولفترة زمنية طويلة، خاصة بعد حرب ١٩٦٧، قراراتها المتعلقة بهذه الحقوق للاجئين الفلسطينيين، مضيفة إليها بعد عام ١٩٦٩ حقاً جديداً اعترفت به وكررت هذا الإعتراف منذ ذلك الوقت، وهو حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير وإنشاء دولته على أرض وطنه.

ثانياً: حق العودة في القانون الدولي:

تعتبر كافة الحقوق السياسية والقانونية للشعب الفلسطيني متكاملة بحيث يصعب فصل حقوق اللاجئين الفلسطينيين عن حقوق باقي أبناء الشعب الفلسطيني، فحق اللاجئين في العودة والتعويض وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره مترابطة ومتصلة ببعضها البعض بحيث يصعب تحقيق حق العودة دون حصول الشعب الفلسطيني على حقه في تقرير المصير.

إلا أنه مع ذلك فإن لكل واحد من هذه الحقوق مواصفات قانونية قائمة بذاتها. لذلك يجدر بنا إلقاء نظرة على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة ضمن سياق مفهوم، الحق في العودة في القانون الدولي بشكل عام، وضمن خصوصيات هذا الحق للاجئين الفلسطينيين بصورة خاصة.

لذلك يجدر بنا إلقاء نظرة فاحصة على حق العودة في القانون الدولي بشقيه: قانون الحرب، أو القانون الدولي الإنساني. وقانون السلم، (أي القانون الدولي العام).

١ـ حق العودة في القانون الدولي الإنساني:

يشير معظم فقهاء القانون الدولي البارزين إلى أن ممارسات الدول المضطردة في مجال قانون الحرب تدل على اعتراف الجماعة الدولية للجماعات المهجرة بحق العودة إلى الإقليم الذي كانت تعيش عليه.

وفي هذا الصدد يكتب البروفيسور كوينسي رايت في معرض حديثه عن حق اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا عامي ١٩٤٨-١٩٦٧ في العودة ما يأتي: «إن قانون الحرب المطبق في كافة النزاعات المسلحة يتطلب من القوة المحتلة أن تبقي السكان المدنيين في أماكنهم، كما وإن رفض هذه السلطات إعادة من هجروا إنما يعتبر خرقاً لقانون الحرب». ونشير هنا إلى أن نص المادة ٤٩ من معاهدة جنيف الرابعة واضح وصريح في حظر كافة أعمال النقل الجبري الفردي والجماعي للأشخاص المحميين إلى خارج الإقليم المحتل. كما وأن نفس المادة توجب على سلطات الإحتلال إعادة من تم نقلهم أو إخلاؤهم، جزئياً أو كلياً، إلى مكان آخر غير مكان إقامتهم بسبب اضطراري تطلبته ظروف الحرب، إلى موطنهم الأصلي حال توقف الأعمال العدوانية. كما أوجبت هذه المادة على سلطات الإحتلال في حالة اضطرارها لمثل هذا النقل الكلي أو الجزئي، الإهتمام بتوفير أماكن مناسبة لإستقبال الأشخاص المحميين وللعناية بصحتهم وأمنهم وتغذيتهم وسلامتهم، وبذل الجهد لجمع شمل أفراد العائلة الواحدة في نفس المكان.

وتشدد الجماعة الدولية في نصوص هذه المادة يدل على مدى الحماية التي أولتها هذه الجماعة الدولية للسكان المدنيين الخاضعين للإحتلال أو المهجرين قسرياً بسبب ظروف الحرب. وعلى وجوب إعادتهم إلى مكان إقامتهم حال انتهاء هذه الظروف مع وجوب العناية البالغة برفاهيتهم وأمنهم.

ويبين جان بيكتيه وزملاؤه شرّاح المعاهدة الرابعة من معاهدات جنيف لعام ١٩٤٩ في شرحهم للمادة ٤٩ المشار إليها أعلاه، بأن كافة أنواع الإبعاد ممنوعة أيضاً في القانون الدولي الإنساني العرفي، مع أن أنظمة لاهاي لعام ١٩٧٠ لم تورد بذلك نصاً بسبب الإفتراض القائم آنذاك من قبل كافة أعضاء الجماعة الدولية بأن ذلك محرم دولياً.

ونشير هنا أيضاً إلى أن ميثاق نورينبرغ عام ١٩٤٦ اعتبر الإبعاد القسري جريمة حرب.

ويرى العديد من شرّاح القانون الدولي البارزين بأن ما ورد من نصوص صارمة وواضحة في المادة ٤٩ المذكورة أعلاه، من تحريم الإبعاد، ووجوب إعادة من أجبروا على مغادرة مساكنهم، ينطبق على كافة اللاجئين من المدنيين الذين اضطروا لسبب أو لآخر إلى ترك مدنهم وقراهم والهرب إلى أماكن آمنة، وأن من حقهم العودة إلى مساكنهم حالما تزول الأسباب الإضطرارية المذكورة.

وبالطبع يمكننا القول: إنه من باب أولى afortiori عودة من قامت السلطات الرسمية بتهجيرهم قسراً إلى وطنهم ومساكنهم تعتبر حقاً قانونياً بل وقاعدة آمرة jus cogens لايجوز مخالفتها.

٢ـ حق العودة في القانون الدولي العام:

إذا كانت الجماعة الدولية قد أولت حق المهجرين قسراً خلال الحرب أهمية كبيرة، ونصت على وجوب عودتهم إلى مساكنهم، فإن القانون الدولي المعاصر وقت السلم قد أولى هذا الحق أهمية كبيرة أيضاً، وخاصة في الإتفاقيات العديدة المتعلقة بحقوق الإنسان.

وقد اعتبرت معظم نصوص هذا القانون أن حق المواطن في العودة إلى وطنه يعتبر حقاً ثابتاً وملزماً لسلطات الدولة. ويبرز بعض شرّاح القانون الدولي هذا الحق بأنه يستند إلى ما تربط المواطن بدولته من رابطة الجنسية التي تمنح هذا المواطن العديد من الحقوق، ومن جملتها حقه في العودة إلى الوطن.

ويذهب بعض فقهاء القانون الدولي إلى اعتبار الدولة التي تمنع أحد رعاياها من العودة إلى وطنه مسؤولة تجاه هذا المواطن وتجاه الدولة المجاورة التي يتواجد فيها إذا كانت راغبة في عودته إلى دولته التي ينتمي إليها أو التي كان يعيش فيها. ويبرر هؤلاء الفقهاء ذلك بأن على الدولة الإبقاء على الوضع القائم قبل المنع من العودة (status guo ante).

وبناء على هذا وانسجاماً مع الرأي المذكور أعلاه، فقد نصت اتفاقية هافانا المتعلقة «بوضع الأجانب» سنة ١٩٢٨ على أنه: «يطلب من الدول استقبال مواطنيها المطرودين من دولة أجنبية والراغبين في العودة إلى إقليمها».

وتعتبر الدولة ملزمة بهذا الواجب القانوني حتى وإن كان مواطنها المذكور لم يكن قد دخلها أو أقام على ترابها.

ويذهب بعض الفقهاء إلى ابعد من ذلك إذ يقولون بأنه حتى إذ سحبت إحدى الدول الجنسية من أحد مواطنيها فإنها لاتستطيع منعه من دخول إقليمها كما وأنها لاتستطيع إجبار الدول الأخرى على قبوله.

حق العودة لغير المواطنين:

يحاول خبراء القانون السياسيون المدافعون عن إسرائيل التذرع بحجة كون حق العودة مقصوراً على مواطني الدولة الذين يحملون جنسيتها ويشيرون في هذا الصدد إلى أن اللاجئين الفلسطينيين ليسوا من مواطني دولة إسرائيل، وبالتالي فإنهم يزعمون بأن قواعد القانون الدولي لاتلزم إسرائيل بقبول دعوتهم، كما وأنهم يثيرون حجة الخطر الأمني الذي قد يسببه عودة هؤلاء اللاجئين إلى إسرائيل إذا ما سمح لهم بالعودة إليها. وهذه الحجة ـ أي حجة الأمن ـ تعتبر العجل الذهبي بالنسبة لإسرائيل، فبسببها ترتكب إسرائيل كافة المخالفات الدولية. والواقع أن إثارة عنصر الجنسية إنما هو قضية حق يراد بها باطل، فإسرائيل منحت ومازالت تمنح جنسيتها لمئات الألوف من اليهود من كافة أنحاء العالم، كما وأنها حرمت عشرات الألوف من المواطنين الفلسطينيين الذين ظلوا في الدولة العبرية ولم يغادروها من حقهم الطبيعي والقانوني في الحصول على الجنسية الإسرائيلية، تحت حجج وذرائع أمنية وسياسية وقانونية واهية، وذلك لمدد طويلة.

زيادة على ذلك فإن كافة مواطني فلسطين العرب واليهود، الذين عاشوا في فلسطين بصورة مشروعة كانوا يتمتعون بالجنسية الفلسطينية في ظل الإنتداب البريطاني بموجب قانون الجنسية الفلسطينية الصادر عام ١٩٢٥. وتقضي قواعد القانون الدولي العرفية والإتفاقية أنه في حالة تغيير السيادة على الإقليم فإن الدولة الجديدة التي تبسط سيادتها على هذا الإقليم يتوجب عليها منح كافة المواطنين المقيمين عليه جنسية هذه الدولة واحترام حقهم في الجنسية.

والرأي الراجح بين فقهاء القانون الدولي أن الدولة الجديدة يجب أن تمنح جنسيتها لكل من كان يقيم على الإقليم الذي أصبح تحت سيادتها خاصة إذا ما كانت قد سيطرت عليه بالقوة المسلحة، حتى وإن لم يكن بينها وبين الدولة السابقة اتفاقية بهذا الخصوص.

وحيث أن فلسطين كانت تحت الإنتداب وأن السيادة لم تكن لدولة الإنتداب بريطانيا، بل كانت كامنة وفي حالة جمود، فإن فرض إسرائيل لسيادتها على الإقليم الذي احتلته عام ١٩٤٨ لايعطيها الحق بالإدعاء بأن حق العودة إلى هذا الإقليم مقصور على مواطنيها الذين يحملون جنسيتها فقط خاصة وأن سيادتها على أجزاء من هذا الإقليم كانت سيادة واقعية فرضتها بحكم الأمر الواقع، إذ سيطرت على أجزاء واسعة من المناطق التي خصصها قرار التقسيم رقم (١٨١) للدولة العربية. كما سيطرت على القدس الغربية

أولاً ثم الشرقية وضمتها إلى سيادتها خلافاً لقرار التقسيم ولقواعد القانون الدولي، وحسب الرأي الراجح بين الفقهاء فإن هذا التطور لايعطي إسرائيل الحق في حرمان أكثر من نصف الشعب الفلسطيني من العودة إلى بيوتهم داخل إسرائيل تحت ذريعة أنهم ليسوا من مواطنيها، إذ أن من شأن ذلك مكافأتها على طرد هؤلاء المواطنين وتشريدهم الأمر الذي يخالف المنطق وكافة قواعد القانون الدولي.

٣ـ حق العودة في قانون حقوق الإنسان:

ورد النص على حق الإنسان في العودة إلى وطنه في عدد من الإتفاقيات الدولية والإقليمية.

○ الإتفاقيات الدولية والعرف الدولي:

نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ على أنه «يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه».

ويكاد الفقه الدولي يجمع على أن الإعلان العالمي المذكور، على الرغم من كونه إعلاناً صادراً بقرار من الجمعية العامة، إلا أنه تحول إلى عرف دولي ملزم لكافة أعضاء الجماعة الدولية لكثرة الإشارة إليه والأخذ بنصوصه.

أما العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية فقد نص على أنه «لايجوز حرمان أحد بشكل تعسفي من حق الدخول إلى بلاده».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إسرائيل صادقت على هذا العهد، وتعتبر ملزمة بنصوصه.

كما وأن الإتفاقية الدولية لمنع كافة أنواع التمييز العرقي تنص على ضمان حق كل مواطن في العودة إلى وطنه منعاً للتمييز بين المواطنين استناداً إلى عرقهم أو أصلهم القومي.

○ الإتفاقيات الإقليمية:

نصت الإتفاقيات الإقليمية الثلاث الرئيسية المتعلقة بحقوق الإنسان على ضمان هذا الحق، فقد نصت الإتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان على عدم جواز طرد أحد من إقليم الدولة التي يحمل جنسيتها، وكذلك على عدم جواز حرمان أحد من دخول دولته.

كذلك ينص الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بوضوح، على حق كل فرد في العودة إلى وطنه.

أما الإتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وللحريات الأساسية، فقد نص البروتوكول رقم (٤) الملحق بها على نفس هذا المبدأ.

○ الدساتير والقوانين الوطنية:

لقد تأثرت معظم القوانين الوطنية لدول العالم وبعض دساتير هذه الدول بالحماية الدولية لحق الإنسان في العودة إلى وطنه وأخذت هذه القوانين المحلية تنص عليه وتعتبره بعض الدساتير من ضمن الحقوق الأساسية الواجب ضمانها ومراعاتها.

وقد أدى هذا التطور ببعض فقهاء القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان إلى القول بأن «التزام الدول بالسماح لمواطنيها بالعودة إلى أوطانهم» قد دخل حيز المصدر العرفي الدولي لقانون حقوق الإنسان.

٤ـ حق العودة للجماعات:

يؤكد بعض الفقهاء بأن حق العودة إنما ينطبق على الأفراد بصفتهم أفراد، أي أنهم يقولون بأن الأفراد فقط يحق لهم العودة إلى الوطن دون الجماعات الكبيرة، خاصة الجماعات المهجرة خلال الحرب والصراعات الداخلية، إذ ادعت الدول بأن هؤلاء لاينتمون إليها وليسوا من رعاياها، إلا أن بعض الفقهاء يعارضون هذا الرأي ويؤكدون بأن واضعي النصوص في بعض المعاهدات الدولية لم يقصدوا إطلاقاً قصر هذا الحق على الافراد ويدللون على هذا الرأي بالرجوع إلى محاضر جلسات مناقشة المادة (١٢) من «العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية» فيشيرون إلى أن ما ورد في جلسات المناقشة لايستدل منه إطلاقاً رغبة واضعي النص في جعل الأفراد المستفيدين الوحيدين من هذا الحق، وأنه يستدل من صيغة النص ومن قواعد التفسير المتعارف عليها في هذا المجال، وذلك بالعودة إلى مفردات النص وروحه حسبما أقرته اتفاقية فينا لقانون المعاهدات، بأن الجماعات المهجرة خلال الحرب مشمولة بهذا الحق.

بالإضافة إلى ذلك فإن المدافعين عن الرأي القائل بشمول حق العودة للجماعات المهجرة يشيرون إلى أن ورود نص المادة (١٢) بصورة مطلقة لايمكن أن يفهم منه سوى رغبة واضعيه في أنه قصد به الإطلاق، أي شموليته للافراد والجماعات، إذ أن المطلق يجري على إطلاقه، كما تقول القاعدة الفقهية المعروفة. فالنص هو: «لايجوز حرمان أحد بشكل تعسفي من حق الدخول إلى بلاده»».

ويتضح من هذا النص عدم استثناء أحد من حق العودة. وهذا التفسير يتسق ليس فقط مع المنطق اللغوي للنص بل ومع روحه وهدف واضعيه خاصة وأنه وضع في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية ومعظم الدول دأبت على حماية حقوق الشعوب الجماعية سواءً كان ذلك يتعلق بحق المدنيين الخاضعين للإحتلال أو بحق الشعوب في تقرير مصيرها، أو بحق الأقليات في عدم التمييز ضدها. وهذا ما ورد عليه النص في المعاهدات العديدة الصادرة بعد عام ١٩٤٥.

ويشير بعض أبرز فقهاء القانون الدولي إلى أنه يمنع على سلطات الإحتلال إبعاد المدنيين، وأنه في حالة مغادرتهم لوطنهم فإن عليها واجب إعادتهم وأن فشلها في عمل ذلك وفي تعويض هؤلاء السكان إنما يشكل خرقاً لقانون الحرب.

كما وأن سلطات الإحتلال تعتبر بموجب القواعد العرفية لقانون الحرب ملزمة بالحفاظ على الوضع القائم ومن ضمن ذلك منع تهجير أي مجموعة من المدنيين المحميين وجوب إعادتهم في حالة مغادرة بعضهم لوطنه خلال الحرب.

يدلل القائلون بهذا الرأي على صحته، في أن ممارسات العديد من الدول خلال الحروب، تشير إلى احترامها لحق الجماعات المهجرة قسراً أو خوفاً من أخطار الحرب، إلى العودة إلى الأماكن التي غادرتها.

بالإضافة إلى ذلك فإن منظمة الأمم المتحدة دأبت على النص في معظم القرارات الصادرة عنها والمتعلقة بالنزاعات الدولية، وخاصة المسلحة منها، على وجوب إعادة المهجرين بسبب هذا النزاع. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قرار الجمعية العامة المتعلق بآلاف القبارصة الهاربين من ديارهم نتيجة الغزو التركي لشمال قبرص عام ١٩٧٤ إذ نص قرارها على وجوب: «احترام حقوق الإنسان لكافة القبارصة، والدعوة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بعودة طوعية لكافة اللاجئين إلى بيوتهم التي أصبحت تحت الإحتلال التركي».

وفي هذا الصدد قرر مجلس الأمن في نزاع أبخازيا بأنه: «من حق كافة اللاجئين والأشخاص المهجرين العودة إلى بيوتهم».

أما في نزاع البوسنة والهرسك فقد قرر مجلس الأمن بأن: «كافة الأشخاص المهجرين لهم الحق في العودة بسلام إلى بيوتهم وفقاً للقانون الدولي».

كذلك أصدر مجلس الأمن قراراً ينص على حق كافة الصرب المهجرين من بيوتهم في كرواتيا بالعودة إليها وفقاً للقانون الدولي. كذلك طالب المجلس كرواتيا بأن تتقيد بالأسس المتعارف عليها دولياً وأن تحترم حق كافة الصرب في المكوث والمغادرة أو العودة بسلام وأن تخلق الظروف المناسبة لعودة كافة أولئك الذين غادروا بيوتهم.

وكان مجلس الأمن قد قرر نفس المبدأ فيما يتعلق باللاجئين الناميبيين حيث طلب من حكومة جنوب أفريقيا إعادة كافة اللاجئين الناميبيين دون قيد أو شرط.

كذلك فإن المفوض السامي للاجئين التابع للأمم المتحدة عقد مع جنوب إفريقيا اتفاقية من أجل إعادة أي لاجئ أو منفي سياسي من جنوب أفريقيا يعود باختياره إلى البلاد كمدني غير مسلح.

الخلاصة:

مما ورد أعلاه نرى بأن حق العودة إلى الوطن أصبح حقاً أساسياً من حقوق الإنسان المعترف بها من قبل الجماعة الدولية في نطاق القانون الدولي العام. وأن الغالبية العظمى من أعضاء الجماعة الدولية يؤيدون هذا الحق ويعتبرون عودة الأفراد والجماعات، خاصة تلك التي هجرت بسبب الحروب أو المجاعات، عرفاً دولياً ملزماً لكافة أعضاء الجماعة الدولية. لذلك فإن حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم وإلى بيوتهم يعتبر حقاً ثابتاً لايجوز التنازل عنه. وقد تأكد بقرارات الأمم المتحدة المتكررة والعديدة وبالإتفاقيات الدولية والإقليمية وبصيرورته حقاً عرفياً ملزماً لكافة دول العالم.

---

* أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية في كلية القانون في جامعة النجاح الوطنية.

الاستيطان يتقدم

ووعود باراك تذروها الرياح

متابعة: بسمة شاهين وأ.جابر

لعل من أبرز الوعود التي أطلقها باراك أثناء حملته الانتخابية، وعده بمتابعة مسيرة السلام على المسار الفلسطيني والذي توّجه بتعهده بتنفيذ اتفاق واي من حيث المبدأ ومن ضمن ذلك الاستجابة الجزئية للمطلب الفلسطيني الملح بوقف الاستيطان، حيث جاءت تعهدات باراك غامضة وضبابية، ففي الوقت الذي أكد فيه على الامتناع عن إنشاء أية مستوطنة جديدة، أكد عزمه على عدم المساس بأي مركز استيطاني قائم، بما في ذلك البؤر الاستيطانية المحدثة التي قامت حتى خارج القانون الإسرائيلي نفسه في الأيام الأخيرة لحكومة نتنياهو.

وفي مباحثاته مع أعضاء الليكود قبيل تشكيل الحكومة قال باراك إنه لن يعلق على مشاريع الاستيطان في القدس، ولكنه يرى أن هذه المشاريع ستعوق تعهداته بمواصلة محادثات السلام مع الفلسطينيين. وقالت مصادر مقربة من عراب عمليات الاستيطان، الثري اليهودي موسكوفيتش أن باراك تعهد له بشكل مؤكد بالبناء في رأس العامود أحد خطوط التماس الرئيسية في معركة الاستيطان مع الفلسطينيين، وقد قدم هذا التعهد منذ أن كان باراك وزيراً للداخلية في حكومة يتسحاق رابين.

هذا التناقض يطرح أسئلة جدية حول التزام باراك بوعوده، فهل سينفذ تعهداته أم ستتم عرقلتها بتعهدات نقيضة، خاصة إذا لاحظنا طبيعة التشكيلة الحكومية التي تحيط به والتي تضم عدداً من الأحزاب اليمينية المؤيدة بقوة للاستيطان، خصوصاً حزبي اسرائيل بعليا(للمهاجرين الروس) والحزب الوطني الديني(الموالي للمستوطنين) واللذين يصران على توسيع المستوطنات، وهذا ما وافق عليه ضمناً باراك عندما أكد أن حكومته ستأخذ بعين الاعتبار احتياجات المستوطنات القائمة وتطويرها.

من جهة أخرى يدور في اسرائيل نقاش حول مسألة الأراضي، وطرق السيطرة عليها، حيث إنه حدث تحول جوهري في هذه الطرق، فبينما حظيت مسألة الأرض بمكانة مقدسة، وكان يتم الإشراف عليها مركزياً من الصندوق القومي لإسرائيل أو الصندوق الأزرق وغيرها، تراجعت النظرة القدسية الى الأرض وأصبح ينظر الى «أراضي اسرائيل» بنظرة عقارية وتركت الحرب على الأراضي لجمعيات مثل، «عطيرت كوهونيم» و«العاد» وهما تركزان نشاطهما في مناطق مكتظة بالعرب وفي المقابل يعمل الجانب الفلسطيني على تمويل شراء أراضي وعقارات في القدس من أجل الحيلولة دون وقوعها في أيدي اسرائيل، ويتم التركيز بشكل خاص على البلدة القديمة وضواحيها، ومصادر التمويل هي رجال أعمال فلسطينيين بتشجيع من السلطة، وصندوق بيت المال المقدسي المتفرع عن لجنة القدس في المغرب، وصندوق القدس للتطوير والاستثمار في الأردن وصناديق أخرى في السعودية.

فيما يلي سنقدم عرضا للهجمة الاستيطانية في الأسابيع الأخيرة والمعارك اليومية التي تدور حول الأرض بما يعكس الكفاح الدؤوب للشعب الفلسطيني للمحافظة على الأرض، وهو عرض غير كامل بسبب كثافة الهجمة المعادية وضراوتها ولكنها محاولة لتبيان مايحدث على الأرض فعلاً بشكل متكامل بمعزل عن الأخبار المختزلة السريعة.

القدس:

ضمن إجراءاتها لتفريغ القدس من سكانها العرب قامت دائرة أراضي اسرائيل برفع قضية ضد خمس عائلات عربية من بني زيد بهدف طردهم من بيوتهم في سلوان وقام وكيل هذه الدائرة بإبلاغ العائلات بأن آخر موعد للمغادرة هو الخامس والعشرون من حزيران 1999 وإلا فإنه سيتم تنفيذ أمر المحكمة بالقوة.

وتزعم الدائرة المذكورة أن هذه الأرض مملوكة لإسرائيل منذ 1923، وقد ربحت القضية أمام المحكمة المركزية الاسرائيلية وعندما تم الاستئناف للمحكمة العليا ربحت الدائرة القضية مرة أخرى، رغم أن السكان يؤكدون ملكيتهم القطعية للأرض، وقبل أسابيع فوجئ سكان «عين سلوان التحتا» بهجمة لمجموعة من المستوطنين حاولت احتلال البيوت وبدأت بتلاوة تراتيل دينية ورفعوا العلم الإسرائيلي على سطح أحد المنازل، وتقوم لجنة طوارئ سلوان بمتابعة هذه القضية وتوضح كيف تم الاستيلاء على البيوت.

وبموجب سياسة تطهير عرقي مبرمج تتخذ إسرائيل يوماً بعد يوم إجراءات جديدة لطرد عرب القدس تحت حجج أمنية ويتجلى ذلك عبر عمليات مصادرة الأراضي الفلسطينية وبناء المستوطنات والتي بدأت مؤخراً في رأس العمود وأبو غنيم وعبر شق الطرق الجانبية والالتفافية التي تبتلع مساحات متزايدة من الأرض وعبر احتلال البيوت في القدس ومحيطها، وعبر إجراءات دائرة أراضي اسرائيل.

هذه السياسيات ليست جديدة من حيث المضمون، إذ أنها بدأت منذ 1967 بأشكال مختلفة، ومع هذا فإن السياسة الفلسطينية لمواجهة مقاومة السياسة الاسرائيلية لم تتغير لامن حيث الشكل ولا المضمون.

وفي سياق المواجهة مع الهجمة الاستيطانية احبطت مؤخراً محاولة قام بها سمسار أراض يهودي معروف باسم(عناب) للسيطرة على نحو 3000 دونماً في محيط جبل أبو غنيم جنوب القدس.

وقد أحبطت هذه المحاولة لدى توجه عناب إلى دائرة الطابو لتسجيل تلك المساحات حيث اكتشف مستخدمو تلك الدائرة وجود أوراق مزورة، علماً أن المساحة الأصلية التي يدعي عناب امتلاكها لا تتجاوز ثلاثين دونماً، ويرتبط السمسار المذكور بعلاقات وثيقة مع موسكوفيتش الذي يمول أكثر المشاريع الاستيطانية الاسرائيلية في القدس، إضافة لارتباطه بأكثر مشاريع نهب الأراضي خطورة في فلسطين.

ومن جهة أخرى تجري محاولات حثيثة واتصالات بين أوساط محلية فلسطينية وشركة إسرائيلية لاسترجاع خمس قطع من أراضي قرية صور باهر جنوب القدس، تبلغ مساحتها 27 دونماً، ثم تسريبها بعقود مزورة عبر انتحال أسماء مالكيها الأصليين المقيمين داخل وخارج البلاد.

وكان قد كشف مؤخراً عن شبكة لبيع الأراضي من خلال عمليات تزوير واسعة النطاق قام بها مؤخراً أعضاء الشبكة استهدفت 5500 دونماً من أراضي الطور والخان الأحمر وأبو ديس وصور باهر وجرت محاولة لبيع 1282 دونماً من أراضي صور باهر إضافة لفنادق وعقارات في الصوانة والشيخ جراح.

وفي الأسابيع الأخيرة بدأت أعمال البناء في رأس العمود، إذ تتواجد بلدوزرات وجرارات في الموقع، حيث يمول موسكوفيتش 132 وحدة



سكنية استيطانية. وقد بدأت خطة موسكوفيتش على الورق منذ سبع سنوات، وتغطي كثر من 14 دونماً، وتتضمن عدة منازل تم الاستيلاء عليها من العرب، وتعيش أربع عائلات يهودية في المكان منذ أكثر من عام.

في سياق آخر تمكن مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان من استصدار أمر قضائي يمنع بموجبه توسيع مستوطنة علمون على أراضي تابعة لبلدة عناتا، تقدر مساحتها بما يزيد عن مائة دونم، وتعود ملكيتها لسبع عائلات. وتم إصدار أمر دائم بمنع المستوطنين من دخول تلك الأراضي وإرغامهم على دفع غرامات عن الأضرار، وسيتوجه مركز القدس من جديد الى المحكمة العليا للحصول على أمر لمنع أية توسعات في مستوطنة معاليه أدوميم، بموجب المصادقة النهائية المنشورة في الصحف المحلية

ومن جانب آخر ذكرت مصادر إسرائيلية أن وزارة الإسكان طرحت مناقصة لبناء 589 وحدة استيطانية في مستوطنة «بيتار عيليت» جنوب القدس» وقالت إن هذه الخطط تم إعدادها من الحكومة السابقة من قبل نائب وزير الإسكان مئير بوروش ولكن وزير الإسكان الحالي يتسحاق ليفي (من المفدال) قام بنشر المناقصة بعد استلام منصبه الجديد في حكومة باراك.

الخليل:

رغم وعود باراك يؤكد زعماء المستوطنين في الخليل أنهم تلقوا معلومات من قادة حزب المفدال اليميني (المشارك في الحكومة ويحمل حقيبة الإسكان) بأن باراك سيصدر قراراً حكومياً بالموافقة على البدء في بناء 50وحدة استيطانية في موقع يعتبره هؤلاء جزءً حيوياً من مشروع الخليل اليهودية، وهذا الموقع المستهدف يخضع حالياً لسيطرة الجيش الإسرائيلي في قلب مدينة الخليل (كراج الباصات القديم) وهو مملوك لبلدية الخليل ويحاذي البؤرة الاستيطانية المساة بيت رومانو، التي أقيمت أصلاً في مدرسة أسامة بن المنقذ في عام 1981. وهذا العمل هو جزء من مشروع يسعى إليه المستوطنون وكانت حكومة باراك قد وافقت عليه ودعمته عبر الموافقة على خطوات استيطانية جديدة في تل الرميدة بمحاذاة مبنى الدبويا، حيث تقع البؤرة الاستيطانية المسماة «بيت هداسا» على بعد أمتار قليلة قرب بيت رومانو.

ويرتبط مشروع الـ 50 وحدة استيطانية بالموافقة التي أعطاها وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه آرينز على البدء باقامة مبانٍ استيطانية جديدة في موقع ملاصق لبيت هداسا قبل الانتخابات وتبع هذه الموافقة إقدام قوات الاحتلال على الاستيلاء على منزلين في البلدة القديمة (منزلي عائلتي عرفة والشرباتي).

وفي تناقض صارخ آخر مع تعهدات باراك أكدت حركة السلام الآن اليسارية الإسرائيلية أن هناك 6600 وحدة سكنية استيطانية يجري بناؤها حالياً في المستوطنات اليهودية القائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة، استناداً الى قرارات اتخذتها حكومة نتنياهو السابقة، مشيرة في ذات الوقت الى وجود 3700 وحدة استيطانية فارغة في المستوطنات ذاتها، وتتركز خصوصاً قرب الخط الأخضر، وارتفعت نسبة بناء المستوطنات 100٪ مقارنة بانخفاض نسبة البناء داخل اسرائيل بنسبة 20٪ واستناداً الى الحكومة مقارنة بـ20٪ داخل اسرائيل، ومن ميزانية اسرائيل لعام 1999 تم تخصيص 30٪ من أجل شق الشوارع لكن هذه المبالغ تحول تلقائياً لصالح المستوطنات في غزة و القطاع.

مقاومة:

بعد 32 عاماً على احتلال قراهم من قبل العصابات الصهيونية وتدمير هذه القرى وتهجير سكانها، نظم أهالي قرى منطقة اللطرون (عمواس ويالو وبيت نوبا) يوماً للعمل الطوعي على أراضي قراهم المدمرة وشارك في هذه الحملة منظمات سلام إسرائيلية ومنظمات غير حكومية فلسطينية ومئات من المواطنين، حيث انطلقت المسيرة من رام الله والقدس و مخيم شعفاط ظهر يوم الجمعة، وأقام العائدون الصلاة على أراضي عمواس ونظفوا مقبرتها، وقال نهاد أبو غوش رئيس مجلس أهالي عمواس أن الهدف من هذه الزيارة وتنظيف المقبرة هو إعلان اللاجئين عن تمسكهم بحق العودة الى قراهم.

وكان لدى السكان رغبة قوية بتذكير العالم بالجريمة التي ارتكبت بحق القرى الثلاث خصوصاً أن المنطقة لم تشهد أي نشاط حربي يبرر تدميرها، وعبر الإسرائيليون الذين شاركوا في تنظيف المقبرة عن دعمهم لحق السكان بالرجوع الى منازلهم حتى لا يكونوا ضحايا السلام كما هم ضحايا الحرب.

وعلى ضوء التعديلات الحدودية التي تسعى اسرائيل الى فرضها برفضها العودة الى حدود الرابع من حزيران، يخشى المشاركون أن يتم إخضاع هذه المنطقة للسيطرة الاسرائيلية الدائمة وتكون بالتالي ضحية جديدة للأنشطة الاستيطانية، والتعديلات المذكورة أصبحت ممكنة منذ تحويل المنطقة الى منطقة عسكرية كونها تشتمل على الطريق الاستراتيجي الذي يصل القدس بتل أبيب المعروف بباب الواد.

وقد حرم سكان منطقة اللطرون من زيارة قراهم حيث يضع الإسرائيليون حواجز تفتيش عسكرية دائمة في المنطقة المعروفة ببيت سيرا بين القرى المعنية ومدينة رام الله.

وعلى أي شخص يرغب بتجاوز الحواجز أن يحصل على تصريح يسمح له بدخول اسرائيل، ويعني هذا عملياً ضم أراضي اللطرون الى إسرائيل، حيث أن الطريق المؤدي الى غزة وتل أبيب ومطار اللد يمر من وسط قرية عمواس.

وقد أدرك أهالي القرى الثلاث خطر اللعبة السياسية التي طرحتها عملية السلام والاتفاقيات المبرمة بين الحكومة الاسرائيلية والسلطة الفلسطينية، ولذلك يحاول السكان تذكير أولئك الذين نسوا أو يتظاهرون بالنسيان بحالة قراهم.

وقد أكد الإسرائيليون المشاركون في العمل الطوعي ويوم التضامن أن سكان هذه القرى الذين طردوا من منطقة اللطرون عام 1967 يملكون كامل الحق بالعودة الى ديارهم. ولكن السؤال الذي يظل معلقاً: ماذا عن عودة اللاجئين الذين طردوا من أرضهم عام 1948؟

المصادر

http://www.pna.org/miniinfo/press/ap1207.htm

http://www.al-ayyam.com/

http://aic.netgate/nathra/990106/full4.htm

http://aic.netgate.net/jerusalem/990708/full1.htm

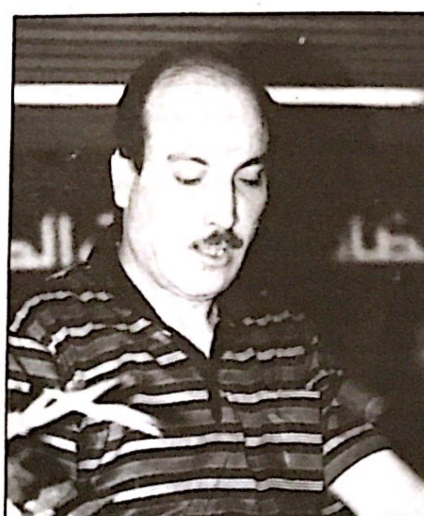
ندوة ثقافية بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد غسان كنفاني

والذكرى الثلاثين لتأسيس مجلة «الهدف»



تحت شعار: (سنظل نقرع الخزان حتى تظل الحقيقة كل الحقيقة للجماهير)، وبمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد المناضل غسان كنفاني التي تصادف يوم الثامن من تموز والذكرى الثلاثين لتأسيس مجلة الهدف والتي تصادف يوم السادس والعشرين من تموز، أقامت دائرة الثقافة والإعلام في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهيئة تحرير مجلة الهدف ندوة ثقافية بهاتين المناسبتين في قاعة الشهيد غسان كنفاني في مخيم اليرموك، حضر الندوة عدد كبير من المثقفين الفلسطينيين والعرب وممثلي حركات التحرر العربية وقادة فصائل الثورة الفلسطينية وحشد من الجماهير الفلسطينية.

وقد تحدث في الندوة السادة: د. صابر فلحوط رئيس اتحاد الصحفيين في سورية نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب والباحث السوري الدكتور جورج جبور والسيد أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.



وقد افتتح الندوة وأدارها الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤول دائرة الثقافة والإعلام ورئيس تحرير مجلة الهدف. وقال في كلمة الافتتاح:

كلمة د. ماهر الطاهر

غادر غسان كنفاني فلسطين في الحادية عشرة من عمره، كان ينتمي إلى عائلة من الطبقة الوسطى، وفجأة تبدلت أوضاع العائلة عندما أصبحت من عداد اللاجئين. باشر العمل مع أخويه كصبية ومراهقين لكي يساعدوا العائلة، استطاع أن يتابع تحصيله العلمي بنفسه، انتسب إلى الجامعة قسم الأدب العربي لمدة ثلاث سنوات، فصل بعدها لأسباب سياسية، ثم سافر إلى الكويت.

ابتدأ حياته السياسية عام ١٩٥٢ عندما كان في الخامسة عشرة من العمر، وفي عام ١٩٥٣ قابل الدكتور جورج حبش في دمشق صدفة-لأول مرة-وكان يعمل يومها مصححاً في مطبعة، وعلى الفور انخرط في صفوف حركة القوميين العرب. وفي عام ١٩٦٠ كان في الكويت فطلب منه الانتقال إلى لبنان، وفي عام ١٩٦٩ أسس مجلة الهدف.

في الثامن من تموز ١٩٩٩ تمر الذكرى السابعة والعشرون لاستشهاد غسان وابنة أخيه لميس بعد انفجار سيارته في بيروت يوم الثامن من تموز ١٩٧٢.

لازلت أذكر تلك الجموع الغاضبة التي خرجت لوداعه بقلوب يعتصرها الألم، ولكن المقرون بالاعتزاز والعنفوان والتحدي.

وفي مقبرة الشهداء في بيروت كان غسان على موعد مع صديقه كمال ناصر الذي قال مودعاً غسان «كفنوه بالغار من أمجاده» وكأنه أحس أن فراقهما لن يطول.

عشرات الألوف من أبناء الشعب الفلسطيني واللبناني وأبناء الأمة العربية خرجوا للوداع في ذلك اليوم الحزين.

كم هو حار ومتفجر دمك النقي يا غسان لكي يفعل كل هذا، وكم هو سخي ومعطاء وغزير ليتوزع على كل تلك الجموع التي خرجت غاضبة فيسري في شرايينها ويعطيها نفحة الأمل والقوة.

هل يفعل فراقك المبكر كلّ هذا؟ نعم ففي استشهادك كما في حياتك كنت رمزاً للعطاء والإبداع والثورة.

كنت ولازلت وستبقى أحد رموز عظمة شعبنا وأمتنا العربية، باغتيالك مع كمال ناصر وناجي العلي وماجد أبو شرار والعشرات، أعلنوا ممن يخافون ويرتعدون، فقد أدركوا خطر الكلمة وفاعليتها في وعي الناس وأفكارهم.

درسوا بعناية ما كتبت وأبدعت في الأدب والسياسة والفن. اتخذوا قراراً عاجلاً، فإذا كنت في عقد الثلاثين أنجزت ما أنجزت فكيف سيكون الأمر في عقودٍ قادمة؟

أنجزت ما بين عام ١٩٦١-١٩٧٢ عشرين كتاباً ما بين روايات ومسرحيات ودراسات أدبية وصل مجموع صفحاتها إلى ٢٦٤٢ صفحة، يضاف إليها الكثير الكثير من الصفحات الموزعة بين مقالات سياسية ونظرية وتحقيقات ومقابلات.

كمٌ هائل وغني من الكتابات الإبداعية واللوحات والملصقات والرسوم وأنجزتها خلال سنوات محدودة وعمر قصير.

من ينسى «رجال في الشمس»، و«ما تبقى لكم»، و«أم سعد»، و«عائدٌ إلى حيفا»، ومن لا يتذكر موت سرير رقم ١٢، وأرض البرتقال الحزين. ومن لم يقرأ أدب المقاومة في فلسطين، وفي الأدب الصهيوني؟

نقف بعد سبعة وعشرين عاماً على استشهاد غسان وشعبنا مثقل بالجراح والهموم العميقة نتيجة لما آلت إليه أوضاع الساحة الفلسطينية والعربية من تشرذم وانقسام في مواجهة عدو تزداد عنهجيته وغطرسته كلما انحنيت له، لأنه لايرى في ذاته إلا جنساً استثنائياً فوق القانون والبشر.

ليس الحديث عن غسان في ذكرى رحيله مجرد كلمات وفاء، وإنما يستمد أهميته وقيمته من صحة الرؤيا ووضوح الهدف والقيم التي مثّلها هذا الرجل في حياته الغنية وإبداعاته الثّرية.

كان غسان من أوائل الذين أدركوا وبوقت مبكر قيمة وأهمية نضالات شعبنا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وقد أسهم إسهاماً بارزاً في إبراز أدباء وشعراء الوطن.

وكان من طلائع الذين أدركوا بعمق أهمية الفكر ووضوح الخط السياسي ودوره الحاسم في انتصار الثورات والشعوب. وقد ربط رؤيته وأفكاره بممارسة عملية ساعياً إلى ترجمة الأفكار إلى واقع حي ينطلق من نبض الشعب وأحاسيسه وآلامه.

مزج غسان بين حياته الشخصية والقضية الفلسطينية والعربية مزجاً كاملاً لا انفصام فيه، وكانت فلسطين في روحه ومخيلته منذ أن تبلور وعيه المبكر إلى أن مضى شهيداً على أيدي أجهزة الإرهاب الصهيوني.

بحث عن فلسطين والمشروع النهضوي العربي في صدق الكلمة وجرأتها فمارس الصحافة، وأصبح صحفياً لامعاً إلى أن أسس مجلة الهدف عام ١٩٦٩ جاعلاً منها منبراً للحقيقة والديمقراطية والكلمة الشجاعة.

إن غياب غسان كنفاني ليس إلا حضوراً من نوع جديد. ولانكتب عن غسان في ذكرى استشهاده لتكريم تقتضيه المناسبة، أو وفاء لرجل ثائر، وكاتب موهوب ومبدع فقط، بل نكتب لأننا نتمسك بالقيم والرسالة التي عاش وقضى في سبيلها.

ليس غسان موضوعاً للرثاء، لأنه حاضر فينا، ملهماً، ورمزاً تتجسد فيه أسمى قيم العطاء والتضحية ونكران الذات.

عاش غسان حياة قصيرة، ستة وثلاثين عاماً، ولكنها حياة مميزة، ابدع فيها سياسياً وفكرياً وأدبياً وثقافياً محققاً التطابق والانسجام بين حركتين: حركة مضمون الأدب التقدمي والممارسة الأصيلة فكان نموذجاً لتلاحم من طراز فريد.

وكانت حياة غسان درساً لا رمزاً فقط، آمن بأن العمل والكفاح لاحدود له، وأن الكتابة الهادفة لاقيمة ولا معنى لها إذا لم تتجسد بالممارسة والسلوك اليومي، وأن الثورة لاتحتمل المواقف المهادنة، وأن الكلمة الجادة لاتعرف المواربة والتلفيق.

اليوم تزداد حاجتنا إلى فهم واستيعاب الدرس الذي أعطاه لنا غسان في حياته وفي استشهاده.

إن فلسطين وطن وقضية وحاضر ومستقبل لاتقبل إلا خياراً واحداً: عودتها إلى أهلها وعودة أهلها إليها وغير ذلك أوهام. وليس هذا الخيار كما يحلو للبعض أن يقول، نابعاً من حالة وجدانية عاطفية، حالمة، وإنما يشهد على صدقه الواقع المعاش.

نضال غسان وآلاف الشهداء كان ومازال من أجل وطن اقتلعوا منه بقوة الإرهاب والعدوان وتزوير حقائق التاريخ.

وثورة غسان كانت على النفي والاقتلاع الذي أرادوه بديلاً للوطن، وصلابة مقاومة غسان كانت من أجل أن لاتتحول حالة الشتات إلى حالة دائمة ومستديمة. هذا هو جوهر الدرس الذي تركه غسان، ومن أجل هذا نحتفي اليوم بغسان.

عاش غسان كنفاني حياته كلها متسقاً وبالغ الانسجام، يفعل ما ينادي به، ويمارس ما يقول، فنادى بالتمرد وعاش حياته متمردًا على العجز والمنفى يحلم بحياة لاغبن فيها وبأزمنة لاتعرف المنافي واللجوء.

كلمة د. جورج جبور



شكراً جزيلاً للدكتور ماهر الطاهر إذ دعاني إلى الحديث، أول ما خطر في بالي أنني إذ آخذ الدقائق العشر المخصصة للحديث، فلكي أتحدث عن موضوع يهمنا جميعاً، وأجمل ما في هذه الوقفة التي نحن فيها أن أتحدث في ذكرى جليل كبير هو الأستاذ غسان كنفاني الذي عرفته في الخمسينيات وما بعدها، والذي دائماً كنت أكبر فيه نبوغه ففي السادسة والثلاثين كتب آلاف الصفحات عبر مئات المقالات والدراسات وكتاباته ذات أثر عميق، ما أزال أذكر: «رجال في الشمس» صمتوا فماتوا.. هكذا قال: مما تسبب في وفاتهم، لكن بشكل أو بآخر هذا النبوغ تزامن مع التزام عميق بالقضية لم يحد عنه لحظة واحدة.

الفكرة التي يطرحها الدكتور/ أنيس صايغ، والتي أرى من المفيد التذكير بها هنا، هي ضرورة انشاء مكتب لدراسات الإرهاب الصهيوني، هذه فكرة أساسية في تفكير الدكتور صايغ، في تفكير كل من يهتم بالقضية الفلسطينية، ذلك أن الصهيونية إنما هي في التاريخ إرهاب مستمر..

إرهاب يومي، إرهاب يأخذ أحياناً شكل القانون، لكنه في معظم الأحيان يتبرأ من كل القانون، يتبرأ من القانون نفسه الذي وضعه الحاكم الارهابي. علينا.. أن نتذكر دائماً أن أيامنا مليئة بأحداث الإرهاب الصهيوني، وربما أن ليس هناك يوم خال على مدار العام كله من جريمة ارهابية ارتكبها العدو الصهيوني، تزدحم الأيام، فبعض الأيام قد يقع منها عشر إلى خمس عشرة حادثة إرهابية..

علينا أن لاننسى تاريخ الإرهاب الصهيوني في منطقتنا وفي العالم كله.. ذلك ان الأحداث الآن كأنها تلح على أن ننسى هذا التاريخ، كأن فلسفة السلام يراد لها أن تقوم على أساس نسيان التاريخ، أنا أحب أن يكون هناك مفكرة يومية لأحداث الإرهاب الصهيوني، توثق أسماء وأفكار أولئك الذين سقطوا ضحية الإرهاب الصهيوني في مثل ذلك اليوم من عام كذا.. أو قبل مائة عام.. أو قبل عشرة أعوام أو قبل عشرين عاماً.. الخ.

وأذكر في هذا الصدد أننا قبل بضع سنوات أقمنا أمسية تخليداً لذكرى مذبحة «كفر قاسم» عام ١٩٩٦، ولاقت نجاحاً هائلاً.. وكان لها أصداءٌ واسعة في الأراضي المحتلة.

ونحن ندخل الآن عتبة مرحلة يقال إنها واعدة.. علينا أن نتحدث جدياً عن تاريخنا، أولئك الذين اقتلعوا أهلنا من أرضهم.. اقتلعوهم بحجة أمور كثيرة.. لكن أحد هذه القوى.. كانت قوة تدخل عدونا بتاريخنا.. وهذا أمر هام جداً في صياغة الأفكار السياسية.. أن تجعلها يومياً حاضرة في ذهنك، بما ينشطك ويُفعّلك في بناء حاضرك ومستقبلك، مركز لدراسات الإرهاب الصهيوني، لتوثيق الإرهاب الصهيوني، هذا ما هو مطلوب في هذه اللحظة أكثر من أي وقت مضى..

غسان كنفاني.. اشتهر بأنه أديب ومفكر وصحفي، وبأنه مؤسس مجلة «الهدف» التي نحتفل اليوم أيضاً بذكراها الثلاثين.. ربما أنني من الثلاثين سنة التي صدرت بها المجلة، كنت أطالعها بانتظام.. في حوالي ثلثي المدة.. إنها مجلة مستديمة.. مجلة مستنيرة.. مجلة تغني شأننا القومي.. يومياً نرى فيها هذا التمازج بين العقل والانتماء القومي.. العاطفة القومية مشروطة.. ولكن هناك عقل يجعلنا نتبين الطريق المؤدي إلى

تحقيق أهدافنا القومية.. أهنئ المجلة بذكراها الثلاثين.. وأهنئ القائمين عليها بهذه المناسبة.. وإذا كانت كلمتي قصيرة ومختصرة.. ومباشرة تؤدي إلى الهدف.. فأعترف وبكل بساطة أنه ليست لدي بلاغة الدكتور صابر.. وشكراً جزيلاً لكم.. والسلام عليكم.

صابر فلحوط: غسان كنفاني المسكون بخلود قضيته



أيها...

أن تكون في حرم الشهادة، ومحرابها القدسي عليك أن تضبط أنفاسك، وتقيس كلماتك، لابميزان الذهب والألماس بل بشفافية الذوق والإحساس، ومحبة الناس كما كان يفعل الشهيد غسان كنفاني الذي نلتقي اليوم على مائدة ذكراه نستلهم الحزم والعزم من هذا الطلاع الثنايا الذي كتب لفلسطين بقلمه ودمه فكان الأصدق والأسبق إلى سدرة الخلود..

أيها الأعزاء من أهل غسان وأحبائه ورفاق نضاله كلنا آله وأشقاؤه ورفاقه، لقد كان الشهيد غسان الكاتب والصحفي، والمناضل بسيطاً كالماء القراح، واضحاً كطلقة رشاش، عميقاً كبئر هموم هذه الأمة التي آمنت حتى آخر حدود النبض بانبعاثها، واستعادة دورها، وقدرتها على اكتساح خنادق ذاتها، ومعسكرات أمراضها ومواجهة غزاتها الذين تضج بهم الميادين من جميع الجهات فكان يلخص في قلمه وموقفه وهو الصحفي والكاتب المبدع المسكون بالأمل والعنفوان على رقة طبعه وشفافية جسده كالسيف اليماني قول الشاعر الياس فرحات في صرخته الغضوب في وجه الحصار والياس والإحباط:

قل للمغير على مرابعنا
كالسيل ينفذ من هنا وهنا
إن لم يكن زمن يوافقنا
للثأر منكم نخلق الزمنا

وقد كان غسان يرفض التردد في المواقف الصعبة، ويتمرد على الآراء المعتمة والشاحبة فيظل بقلمه المغموس في خابية الفتكة البكر متجوهراً متوهجاً كأنه الحقيقة النجلاء في عريها المخملي..

أيها الرفاق والأخوة الكرام..

في ذكرى غسان كنفاني، ومولد الهدف التي عشقها فوهبها قلبه المعطاء وفكره الخلاق، وإيمانه الراسخ، فاحلته في أفئدة قارئيه، ووجدان محبيه رمزاً متألقاً للصحفي والكاتب المناضل الذي يعيش لقضيته ويستعذب الموت في سبيل رسالته.

في هذه الذكرى التي نحاول أن نمتشق فيها قلم العطر لنكتب على ورق النور رثاء غسان رمحاً يليق بقامته وثناءً يختصر النجوم المزدحمة تاجاً فوق هامته، لابد أن ننحني بقلوبنا إجلالاً وإكباراً لمن عمد الفكر بالدم، وأبصر في الظلام الدامس درب القضية الذي عجز عن رؤيته المتخاذلون والمستسلمون في رائعة الضحى..

أيها الأعزاء..

لقد كان الشهيد غسان يشمخ اعتزازاً بعبقريته الفذة، وأدبه المحلق وشاعريته الأخاذة، منصرفاً عن شؤون دنياه إلى ما فوق التراب الذي يحني رؤوساً، ويذل نفوساً تحت أقدام بهرجه الزائف، ومجده الخلبي الزائل مؤمناً بالبساطة مع العمق، وبالتواضع الأرفع من عمود الصباح، وقد سمعته مرة يردد بإعجاب قول الشاعر القروي:

بعدت همتي فعفت كنوز الأرض لما عرفت قيمة كنزي

لا أبالي شبعت أم جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي

أيها الأخوة والرفاق

كان الشهيد غسان يعتبر الكلمة الصحفية قذيفة مدفع فهي إن لم تصب مقتلاً فإنها توقظ غافلاً وتفتح على الضوء عيوناً، وتحيي موات أعصاب كما كان يعتبر أن حرية الصحافة كما قال الرئيس المناضل حافظ الأسد هي من حرية الوطن وقواه الجماهيرية وإننا يجب أن لانخاف منها بل عليها وأن هذه الحرية هي مسؤولية الصحفيين القابضين على جمر الحقيقة قبل أن تكون مهمة الحكام الذين يغريهم الظلام باستمرار عرض مسرحية استغفال الجماهير حيث يصبح بفضل توجيهاتهم غير السامية اجتياز حدود إمارات هذه الأمة ومشيخاتها مع حقائب المتفجرات وسموم المخدرات أسهل من اجتيازها مع صحيفة تشع مقاومة، وتشيع دعوة للصمود والفداء، أو مع كتاب يحمل في ثناياه وقود كرامة أو نبض حب وإمتاع.

ولقد كان قلم غسان الصحفي يتمرد على ضيق المساحات فوق الورق ويكره الأفكار المسورة، والآراء المعلبة، والمواقف الزئبقية، مؤمناً بأن صلابة العقيدة تعني تعميدها بدماء عشاقها وحوارييها وإلا أمست طنين ذباب إعلامي ورغاء أباعر عجفاء وشقشقة منابر جوفاء.

وكان غسان سباقاً في استشراف الطالع من الأيام فرفض بعناد واعٍ صدام الحضارات على حساب قضيتنا ونهاية التاريخ مصيدة للقضاء على أهدافنا في تحرير أرضنا واستعادة فلسطيننا وقدسنا الأشرف..

أيها الأخوة الأعزاء

ونحن في عرس غسان كنفاني عرس الشهادة الأروع والفكر الأبدع، والصحافة المقاومة والأدب المقاتل، ألا نستذكر بالإكبار والإجلال نفسه ونحن على مسافة همسات قلب وتلويحة روح ثلاثة كواكب تركوا في حياتنا دوي المتنبي بأنامله العشرة فكانوا العظماء بصولجان العبقرية والزعماء في ملكوت الإبداع الخالد.. فإذا ذكرت سعد الله ونوس اخلع تاجك إجلالاً ولو مظفوراً من غار ووقار.. وإذا صافحت نزار قباني فاجعل كبدك مذاباً بعطر الحسان الحور بين أصابعك.. وإذا يممت شطر الجواهري فمر الصحراء تمرع نخوة وتمرداً وثورة على نواطير العروبة المشلوحين بين المحيط المطعون والخليج المرهون. وليتك اليوم معنا أنت ورفاقك يا غسان لتقاسمنا الألم والقهر ونحن نشهد كيف يضعون للهزيمة ألقاباً سامية طرية كالزهر والعطر كي نستسيغها على الجوع والظمأ.. فالاستسلام سلام، والزحف على البطون والذقون على أعتاب صهيون حكمة وحنكة وسياسة، والتفريط بالأرض والعرض والكرامة إنما هو في سوق العولمة وسوبرماركت الجبن والذل الذي عنه يتساءلون وسبيل الأقوياء الذين أدمنوا مواجهة الرياح بمصدات مصنوعة من أجنحة الخفافيش!!

غير أن دمك يا غسان، وبطولات القافلة التي قادها كبير الأمة وكريمها الرفيق المناضل حافظ الأسد والتي درجت على درب الصمود والخلود بعدك في تشرين معجزة العرب في القرن العشرين، ونجيع فرسان القضية التي وهبوها ذوب القلوب والعيون وحده كفيل بتقويم اعوجاج التاريخ والتأكيد الراسخ والشامخ لكل من يقترب من جمر القضية الفلسطينية أن هذه الأرض لنا وحدنا وإن قرار الدم الذي يكتب على مدار الساعة الغاضبة فوق فلسطين والجولان وجنوب لبنان إنما هو الحاضر والمستقبل والمصير لهذه الأمة. واقرأ بعدها على سلام المهزومين والمفرطين السلام مهما طال مشوار الدم والهم والألم والتضحيات.

وختاماً.. أيها الشهيد العبقري غسان هل أقول الوداع في ذكراك المتوهجة كأنها قبسة من مجمرة الخلود..

المناضلون والشهداء كالقديسين والأنبياء لايودعون بل يستقبلون على الدوام بالود والورد والحب لأنهم أبد الدهر باقون وفي ضمائر الأجيال خالدون والسلام عليكم.

الرفيق أبو علي مصطفى:
غسان كنفاني.. حضور دائم

أيها الأخوة الحضور الكرام

يجمعنا اليوم غسان في ذكرى استشهاده، كما كان دائماً روح وحدة وقوة حضور وجمع في حياته.

أهدافه نبيلة (الانسان هو القضية) عطاؤه جزيل والتراث شاهد، روحه الوحدوية كانت سيدة الموقف، وكان دوماً يلفظ المأفونين بزرع الإنشقاق. سكب روحه آنذاك يوم أن كانت تعصف بالمقاومة مفاعيل الأزمة ما بعد خروج الظاهرة المسلحة من الأردن بصياغة وثيقة المؤتمر الوطني الثالث للجبهة (مهمات المرحلة الجديدة) وفي كتيب معضلات المقاومة الفلسطينية.

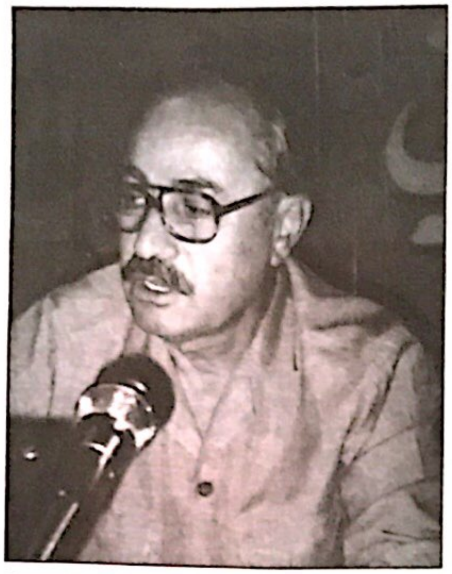
يمثل غسان حالة خاصة، لا في الحياة الثقافية الفلسطينية لوحدها، بل في الحياة الثقافية العربية عموماً، فقد مارس الصحافة والرواية والمسرحية والقصة القصيرة والدراسة السياسية. كما مارس النقد الأدبي والرسم وكان في كل ذلك مبدعاً ومجدداً. فلا يمكن النظر مثلاً إلى تطوير الرواية العربية بعد حزيران، بدون تأكيد الدور الذي قام به غسان من أجل رواية عربية جديدة، وبالإضافة لإبداعه الأدبي وعمله الثقافي فقد كان الكاتب الشهيد مناضلاً سياسياً بامتياز، منذ أن كان عضواً في حركة القوميين العرب في الخمسينيات التي نادت بالوحدة العربية وتحرير فلسطين، وصولاً إلى موقعه كقائد أساسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

لقد وحد غسان في حياته النضالية بين عمله السياسي وعمله الثقافي، بشكل لايمكن فصل أحدهما عن الآخر، فبقدر ما كان يناضل من أجل شكل جديد للعمل السياسي يعتمد على الجماهير كان يعمل وبدأب كبير من أجل شكل ووظيفة جديدين للأدب.

ولاتتجلى أهمية غسان في الكم الذي كتبه وهو كبير، ولا في المستوى الفني العالي الذي ميز أعماله بل تتجلى في قدرته الفائقة على كتابة كل ذلك في حياة قصيرة، بل بالغة القصر، فهو لم يعش إلا ستة وثلاثين عاماً.

ترافقت ولادة غسان مع الثورة الفلسطينية الشهيرة عام ١٩٣٦/ والتي ناضلت ضد المشروع الصهيوني وضد السياسة البريطانية الاستعمارية، وبعد أن استطاعت الصهيونية إقامة كيانها عام ١٩٤٨/ نزح غسان مع عائلته إلى سوريا، والتحق مبكراً بالعمل المنظم/وعمل في عام ١٩٥٥ في جريدة الحركة (الرأي) ثم مدرساً، وفي عام ١٩٦٠ أقام في بيروت محرراً في جريدة الحرية، ثم أصبح رئيساً لتحرير مجلة الحرر في عام ١٩٦٣/ وكان مبدعاً في إصدار ملحقها الشهري (فلسطين).

أي كانت مجلة الهدف المولود الجديد



ومحبوبة غسان المجلة التي حوّلها إلى مدرسة ليس لفضح الأفكار وتقديم التحليلات فحسب، بل مدرسة صناعة كوادر محررة وفنية، وكان غسان المُعلم والمُعلم الأكبر، وقد داوم على عمله هذا كرئيس للتحرير وعضو في المكتب السياسي للجبهة الشعبية والناطق الرسمي حتى اغتالته يد الصهيونية صبيحة يوم ٨ تموز/ ١٩٧٢.

في هذه الحياة الغزيرة والفاعلة جعل من القضية الفلسطينية المحور الأساسي الذي تدور حوله حياته، فقد كان يعالج القضايا كلها من وجهة نظر الإنسان الذي فقد الوطن، الإنسان الذي يقاتل من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، إن البعد المأساوي القائم في القضية الفلسطينية والتجربة الحياتية والنضالية التي عاشها غسان، جعلتاه يصل وبشكل عضوي إلى فلسفة أساسها التمرد والثورة، التي يقف الإنسان المضطهد فيها ضد الظلم والعدوان، ويقاتل حتى اللحظة الأخيرة في سبيل حقه، وعموماً يمثل الإنسان المتمرد على جميع أشكال الظلم، القاعدة الأولى لفلسفة غسان.

ولهذا يحتل ديالكتيك الموت والحرية موقعاً خاصاً في تلك الفلسفة فالإنسان لايتحرر في قتاله ضد الظلم فقط، إنما يصل إلى حريته العليا وهو يتحدى الموت.

وفي الحالين يبحث غسان عن كل ما يمكن للإنسان المقاوم أن يتكئ عليه كي يبرهن أنه محور الكون وأنه هو المنتصر في نهاية الأمر ومستقبل الصراع.

ويمكن القول إن جمالية الإنسان المقاوم هي الموضوع الذي دار حوله غسان في كتاباته. كتب غسان مجموعة من الروايات ونشرت خلال حياته كما بدأ كتابة مجموعة من الروايات لم يسمح له الزمن بإتمامها الروايات الأولى (رجال في الشمس ١٩٦٣/ ما تبقى لكم ١٩٦٦ أم سعد ١٩٦٩ ـ وهي شخصية حقيقية من برج البراجنة ـ عائد إلى حيفا ١٩٦٩، أراد غسان أن يمزج بين الممارسة الروائية والتوثيق التاريخي وجميع هذه الروايات ترصد وضع الإنسان الفلسطيني، بدءً بسنوات الخروج الأولى وتجربة المخيم والمنفى وصولاً إلى مرحلة الكفاح المسلح.

ولما كان غسان أديباً شاملاً ومهتمّاً بكل أنواع المعرفة فقد مارس بدوره النقد الأدبي، حيث كان من أول المبادرين لدراسة أدب المقاومة في فلسطين المحتلة (١٩٤٨-١٩٦٦) تعرض فيها وفي الجزء الأول إلى الشعر الفلسطيني وأكثر ممثليه تأثيراً (درويش، والقاسم، وسالم جبران) وفي الجزء الثاني تناول القصة والمسرحية.

سعى غسان من وراء هذه الدراسة إلى تعريف القارئ الفلسطيني والعربي بالأدب العربي المقاوم في الكيان الصهيوني، وسعى أيضاً إلى تأكيد وحدة الشعب العربي الفلسطيني/ سياسة وثقافة سواءً كان هذا الشعب يعيش الشتات أو تحت الاحتلال، إضافة إلى هذا فإن غسان كان أول من كرّس دراسة منهجية للأدب الصهيوني، نشأة وتطور الصهيونية الأدبية وموقع العرق والدين في الأدب الصهيوني، ونشأة وتطور شخصية اليهودي، وشكل العلاقة بين السياسة الصهيونية والأدب الصهيوني وكما كان غسان رائداً في دراسة الأدب الصهيوني فقد كان أول من قدّم دراسة علمية موثقة لثورة ١٩٣٦/ إذ درس بالأرقام والاحصائيات طبيعة القوى الاجتماعية التي شاركت في الثورة. وطبيعة وتركيب القيادة السياسية الفلسطينية المسيطرة آنذاك، ليظهر وبشكل موضوعي مفارقة مأساوية:

قوى شعبية تقاتل وقوى إقطاعية متخلفة تقود.

في هذه الدراسة يشرح مأساة الحركة الوطنية الفلسطينية في فلسطين التي دفعت الكثير وقاتلت المشروع الصهيوني ثم انهزمت.

إلى جانب كل ذلك ترك غسان مئات المقالات السياسية التي كان يصوغها أثناء عمله الصحفي وبالرجوع إلى مجلدات الهدف نجد هذا الإغناء الثقافي السياسي الذي كان غسان يعطي صورة عن وعيه السياسي المبكر الدقيق والواضح الذي ربط بين تطور النضال الوطني الفلسطيني وتطور القوى الشعبية من الاضطهاد الوطني والاجتماعي معاً، كما ربط بين تطور العملية الوطنية وتطور الحركة الديمقراطية الشعبية في الوطن العربي، كونه لايرى المستقبل الفلسطيني إلا من خلال مستقبل النضال الوطني العربي الشامل، الذي يقوم فيه الشعب الفلسطيني بدور متقدم في إدارة الصراع مع العدو الصهيوني.

كان غسان نموذج المثقف الثوري الشامل الذي سعى لأن يحقق في ممارسته الدور الثقافي والدور السياسي معاً، فكان رائداً في حقل الثقافة بقدر ما كان قائداً في حقل السياسة ■■

غسان كنفاني والسؤال عن فاعلية الكتابة

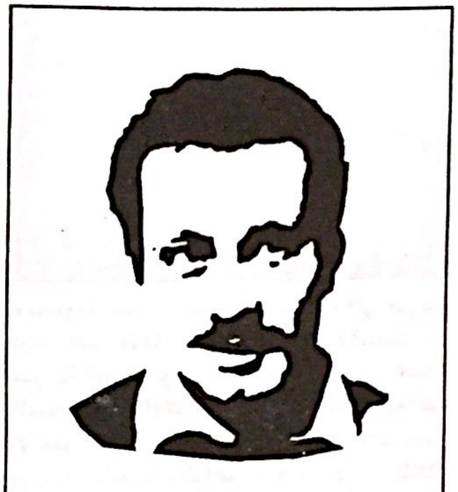
ماهر الشريف

هل مازالت الكتابة قضية؟ وهل مازال الكاتب صاحب قضية؟ وهل بقيت للكتابة الفاعلية التي كانت لها فيما مضى؟

هذه هي الأسئلة التي تبادرت إلى ذهني وأنا أسترجع ذكرى غسان كنفاني، الكاتب الذي تعامل مع الكتابة بوصفها قضية، وبقي طوال حياته القصيرة، صاحب قضية، وأثبت في كل ما كتب أن للكتابة فاعلية كبيرة.

فكيف نجح غسان كنفاني في أن يكون كاتباً من هذا النمط، ولماذا بات مثل هذا النمط من الكتّاب نادراً اليوم؟

كان غسان ـ وكما كتب عنه محمود درويش ـ كاتب الحياة، فكان يكتب لأنه يحيا، ويحيا لأنه يكتب، وكان يعرف لماذا ولمن يكتب، ويعرف أيضاً ـ وهذا هو المهم ـ كيف يكتب، أي أنه اتقن مهنة الكتابة، فكتب القصة والرواية والمسرحية، وكتب المقالة السياسية والأدبية وكان مبدعاً إلى حد كبير، في معظم ما كتب، ومنذ دخوله إلى عالم الكتابة هذا، آمن غسان بفاعلية الكتابة، وركز على الدور الكبير الذي يلعبه الشكل الثقافي من المقاومة، حيث اعتبر في وقت كان فيه الفلسطيني يقدّس البندقية ويماثل بينها وبين هويته، أنه «إذا كان التحرير ينبع من فوهة البندقية، فإن البندقية ذاتها تنبع من إرادة التحرير، وإرادة التحرير ليست سوى النتاج الطبيعي والمنطقي والحتمي للمقاومة في معناها الواسع: المقاومة على صعيد الرفض، وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف. ومثل هذا النوع من المقاومة يتخذ شكله الرائد في العمل السياسي والعمل الثقافي، ويشكّل هذان العملان المترافقان، اللذان يكملان واحدهما الآخر، الأرض الخصبة التي تستولد المقاومة المسلحة وتحتضنها.. ومن هنا فإن الشكل الثقافي في المقاومة يطرح أهمية قصوى ليست أبداً أقل قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها» (من مقدمة دراسته عن «الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الإحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨»). وفي تعامله السبّاق مع شعار: «اعرف عدوك»، توقف غسان عند فاعلية الأدب الذي أنتجه «الآخر» والدور الكبير الذي لعبه في ترويج الرواية الصهيونية ودفع الرأي العام العالمي إلى التسليم بها، فكتب في مقدمة الدراسة التي



نشرها عن «الأدب الصهيوني» (١٩٦٧): «قاتلت الحركة الصهيونية بسلاح الأدب قتالاً لايوازيه إلا قتالها بالسلاح السياسي.. وربما كانت تجربة الأدب الصهيوني هي التجربة الأولى من نوعها في التاريخ حيث يستخدم الفن، في جميع أشكاله ومستوياته، للقيام بأكبر وأوسع عملية تضليل وتزوير تتأتى عنها نتائج في منتهى الخطورة. وكان من أولى هذه النتائج أن أدّت عملية من هذا النوع إلى غسل دماغ جماعي في كل ناحية من أنحاء العالم، استعملت في تحقيقها الوسيلة التي مايزال الإنسان يعتبرها وسيلة تنوير وتوسيع أفق وكشف حقائق».

وكان غسان كاتب الإنسان الفلسطيني بامتياز، كتب عن علاقة هذا الإنسان بأرضه قبل النكبة، وعن علاقته بمنفاه بعد وقوعها، عن الذل الذي عاشه والأوهام التي تملكته في بحثه عن خلاصه الفردي، وعن مخاض الولادة الصعبة التي جعلت منه إنساناً جديداً، فعكس في أدبه واقع هذا الإنسان وما طرأ عليه وعلى قضيته من تطورات خلال عقود عدة. ومن العوامل التي ضمنت نجاح غسان في اتقان مهنة الكتابة إدراكه أن الكاتب، كي يكون فاعلاً ومؤثراً، عليه أن يكون متواضعاً وأن يكتب بلغة سهلة مفهومة للقارئ. وصفات الكتابة الفاعلة هذه اكتشفها غسان لدى الكتّاب الكبار الذين تأثر بهم، ومنهم على سبيل المثال، ساطع الحصري، الذي رأى فيه غسان كاتباً متواضعاً وعميقاً يحترم القارئ، فكتب معلقاً على الكتاب الذي أصدره أبو خلدون بعنوان: «آراء وأحاديث في اللغة والآداب»: «إن ساطع الحصري كاتب يحترم القارئ.. إن [له] أسلوباً مميزاً خاصاً، سهلاً وممتنعاً وعميقاً في نفس الوقت، فهو يفتش عن الكلمة الملائمة للتعبير، ولكن تفتيشه هذا يتجه دائماً نحو إيجاد الكلمة الأسهل والأسرع على الفهم، لا الكلمة السمجة، المشوشة، المعجونة بغرور التفلسف كما يفعل بعض «فلاسفتنا» الشباب.. فالحصري، إذن، يحترم القارئ ويحترم الكلمة، ويدفع هذا القارئ لأن يتمنى أن يعيش كل أدبائنا وفلاسفتنا العمر الذي عاشه الحصري كي يعطوا للناس شيئاً يستحق القراءة، بذلك التواضع وذلك العمق» (من مقال نُشر في صحيفة «الرأي» في ١٩٥٨/٤/١، نقلاً عن «الهدف»، ١٩٩٨/٧/١٣). وعلى خطى الكتّاب الكبار، قدم شاب فلسطيني في عام ١٩٦١، اغتالوه وله من العمر ستة وثلاثون عاماً، مجموعته القصصية الأولى «موت سرير رقم ١٢»، لتُنشر في بيروت، بالكلمات التالية: «جرت العادة أن يحصل الإنتاج الأول لأي كاتب على «جواز مرور» للقارئ: كلمة لقلم مشهور تتصدر الكتاب، أو جمل موجزة على ظهر الغلاف، أو حملة دعاية واسعة يشترك فيها الكاتب والناشر وأصدقاء الطرفين.. أنا أؤمن أن الكتاب يجب أن يقدم نفسه، وإذا عجز عن إحراز جزء من طموح كاتبه، فعلى الكاتب أن يقبل ذلك ببساطة، كما قبل، مرات ومرات، أن يمزق قصصاً ليعيد كتابتها، أو يكتب سواها.. وهكذا فـ «موت سرير رقم ١٢» أدفعها لتشق طريقها إن استطاعت أن تهتدي إلى أول الطريق، بنفسها، دون «شفاعة» ودون «وساطة» ودون «جواز مرور».

وفي الواقع كان غسان الذي سأله أحد أصدقائه في بداية صيف العام ١٩٧٠ ـ وكما ينقل فضل النقيب في «شؤون فلسطينية» (العدد ١٣، أيلول ١٩٧٢): «هل أنت متفائل؟» فأجابه: «حتماً، للمرة الأولى في حياتنا نحن متفائلون، الآن نحن نتحرك ونغيّر العالم معاً، أنا متفائل الآن لا لأني أطمئن للمستقبل ولكن لأني أفهم الماضي فهماً موضوعياً، أنا متفائل لأني على استعداد لأن أموت غداً دون أن أكون نادماً على شيء، في كل حياتي من «كتائب الفداء العربي» حتى «الجبهة الشعبية»، من

«الرأي» حتى «الهدف»، من «موت سرير رقم ١٢» حتى «أم سعد»، كان غسان الذي ردّ على سائله بمثل هذا الجواب ابن زمانه، فقد سطع نجمه في مرحلة كانت الكتابة فيها لاتزال تحافظ على فاعلية كبيرة، مرحلة شهدت ازدهاراً واسعاً للثقافة الفلسطينية، بالإرتباط الوثيق مع تصاعد النضال الوطني الفلسطيني، وكانت فيها «المقاومة» هي الموضوع الرئيسي لأشكال التعبير الأدبي والفني التي ابتدعها أدباء وفنانون كانوا على صلة وثيقة بالسياسة والعمل السياسي، وذلك في لحظة عالية تميّزت بدخول المثقف الكاتب، بصورة لاسابق لها، إلى مسرح السياسة حاملاً مشاريعه الثورية ودعواته التغييرية.

ولابد من الإقرار اليوم بأن تلك المرحلة قد مضت، ومضت معها الفاعلية الكبيرة التي كانت للكتابة، نتيجة الإنتقال المتسارع، على الصعيد الكوني، من «حضارة الكتاب» إلى «حضارة الصورة»، والمساعي المحمومة الرامية، في ظل العولمة المكتسحة إلىتسليع الثقافة وتنميطها والقضاء على تنوعها الخلاق. كما ساهم انطفاء المشاريع التحررية الكبرى وتراجع الفكر النقدي في إضعاف فاعلية الكتابة. وإذا انتقلنا من الكوني إلى المحلي، نلحظ بأن الكتابة لم تعد في ممارسة عدد كبير من الكتّاب العرب، في ظل الظروف المعيشية الصعبة وافتقاد الحريات وأزمة السياسة، لم تعد قضية، كما لم يعد الكاتب الذي خابت آماله في التغيير وتملكه شعور بانسداد الأفق، فاندفع - بتأثير سياسات قصيرة النظر في الغالب - على طريق هجر السياسة لم يعد صاحب قضية، ولم يعد مهموماً، كما كان في الماضي، بهموم الإنسان العربي، بل صار يتعامل مع الكتابة بوصفها مصدراً للتكسب والوجاهة، ويكتب في الأساس لفئة ضيقة من المعنيين والمختصين قادرة، وحدها على فهم اللغة الصعبة التي يلجأ إليها.

ولكن هل هذا الوضع - الذي ربما بالغت في إبراز قتامته - سيكون هو قدر الكتابة؟

إن من المؤكد أن التاريخ لن يكرر نفسه، وأن المرحلة التي أبدع فيها كتّاب مثل غسان كنفاني لن تعود، وأن هناك تطورات موضوعية سيكون من الصعب الإلتفاف عليها، إلا أن ذلك لاينبغي أن يدفع الكاتب الملتزم، الحريص على إتقان الكتابة وعلى إيصال ما يكتب إلى أكبر عدد من القراء، والمهموم في الوقت نفسه بهموم الإنسان البسيط الذي عرفه وصوّره غسان في أدبه، إلى الإستسلام والرضوخ للأمر الواقع. حقّاً إن التحدي كبير، إلا أن بقاء الكتابة قضية، وبقاء الكاتب صاحب قضية، يوجبان مواجهة هذا التحدي■■

تحية إلى.. هدف غسان كنفاني

لايستطيع الإنسان أن يفصل بين غسان كنفاني و«الهدف» ليس فقط لأنه هو الذي أسسها واستشهد وهو رئيس تحريرها، وإنما لأن مسيرة النضال التي جمعتهما، ومن ورائهما نسق كامل من القيم والأهداف والآفاق والمناضلين، وهي مسيرة النضال التي كان لابد أن يستشهد من أجلها غسان كنفاني وغيره من مئات المناضلين. وهي المسيرة التي ينبغي على كل المناضلين أن يواصلوا الكفاح من أجلها، حتى لو اقتضى الأمر الاستشهاد.

لقد تأسست الهدف من ظروف كان الوضوح النسبي سمة تميزها عن ظروفنا الحالية. وكان نصيب فكر غسان ورمزاً في إنجاز مهمة الخط العام والسياسات التحريرية للهدف، وقد أنجز - وأنجزت الهدف بعد رحيله، ورغم قسوة الظروف وتقلباتها - المهمة بأقصى درجة ممكنة من النجاح. نجحت الهدف بتقبل سلامة الخط ووضوحه دون التواء وعمق المادة وتنوعها والتطوير الشامل في الأبواب والكتاب، والمتابعة الحية الدقيقة لكل الأحداث ليس فقط في فلسطين الداخل والخارج وإنما في الوطن العربي وفي العالم، نجحت بكل هذا وبصلابة المناضلين الذين يعملون بداخلها وخلفها، في أن تصبح المجلة المبدئية العربية الوحيدة تقريباً. لم تتلون ولم تهادن ولم تتراجع ظلت تسير إلى الأمام بوضوح وقوة وتماسك، وتتحدى الظروف المختلفة التي عانت منها مادياً وسياسياً جعلت منها مجلة تعطي لمثلي - الذي لايضمن إمكانية وجود دائم لمنبر يحمل أقواله وأراءه - من ثقة تامة أنني دوماً سأجد الهدف ملاذاً لي ولأمثالي.

تحية لهذه القيم السياسية والنضالية التي حملها غسان كنفاني في إبداعه، في حياته وفي استشهاده، والتي بذرها من الهدف بذراً أنبت نباتاً دائماً غير قابل للموت، رغم كل ما نعيشه من قسوة وغموض والتباس وتهديد.

سيد البحراوي

مجلة.. للوطن العربي

إن استمرار عمل ثقافي عربي جاد لمدة ثلاثة عقود، يعتبر عملاً رائداً في وطننا بحق، وقليلة هي المشروعات التي كتب لها أن تستمر كذلك، دون تغييرات في جوهرها وطبيعة حضورها، قليلة تلك المشروعات التي عاشت وفي ضميرها «الوطن العربي» وليس مجرد العروبة أو الثقافة العربية. إننا نعيش زمناً - منذ أكثر من ثلاثة عقود - أصبح فيه مفهوم «الوطن العربي» محل نظر من كثيرين من العرب! فثمة «عروبة» تخضع لكل الإتهامات منذ إدعاءات «أبا إيبان» عن القومية العربية الممزقة تاريخياً، وحتى صياغة «هاركابي» عن العروب المهلهلة اجتماعياً ونفسياً وثقافياً.. وإلى صياغة هنتجتون عن العروبة الإسلامية التي في طريقها تلقائياً إلى الزوال في عصر العولمة الأمريكية.

و«الثقافة العربية» عند الكثيرين هي موزاييك العالم العربي، تزحف إليها القطرية القاتلة بأدوار مدعاة من العرقية والأصولية التاريخية، أو بعض أطراف الأصوليات الدينية الحديثة.

وها هو المشروع الصهيوني يتحدى كل ذلك، ويريح ضمائر المستسلمين للإنهيار العربي، ويطرح على العرب مشروعات الجغرافيا الجديدة للشرق أوسطية، ويجد من أصحاب البترودولار، والأعمال الكبرى والصغرى، والمسطحين ثقافياً والمعزولين في أبراجهم سياسياً، من يقرنون مشروعهم مع اختراقات العولمة بمشروع الصهيونية لتأكيد حضور استيطاني مغاير لايستحي - والمحيط كذلك - من أن ينفرد وحده بالتاريخ والجغرافيا والقومية والدين والعرق، دون أن يجد من يقول له لا.. حتى بمنطق العولمة نفسه!

من هنا ظلت الحاجة على مدى أكثر من نصف قرن - ناهيك عن ثلاثينية الهدف - لمجلة «للوطن العربي».. أقصد الوطنية العربية، والشعب العربي، والنضال العربي، والفكر الثوري العربي.. والأمل أن يبقى هذا الهدف في حبات عيوننا.. وإن طال الزمن...

حلمي شعراوي

رسالة جديدة من أو إلى غسان

نبيل سليمان

لموسم جديد من مواسمك يدعونني، فأستحي من أنني تعودت نسيانك، وأستحي من هزال موسمك تلو الموسم، حتى وإن اقترن بموسم لمجلتك، فلا (الهدف) هي (الهدف) ولا الهدف هو الهدف، لا أنت هو أنت ولا نحن.. من وما الذي لا يتغير يا غسان؟

اسمح لي إذن أن أقلّب فيما كتبت، وأبدأ بضمة من البرقوق أو الحنون أو الشقيق، فلك أن تسمّي الشقائق كما تشاء، وكما قدمت المرأة لإبراهيم أبودية تلك الضمة في قصتك (ورقة من الطيرة) سأقدم لك. وكما انتثرت الضمة على قبر إبراهيم في قصتك (منتصف أيار) ستنتثر على قبرك، وأنا أحدثك عن.. عن ماذا ياغسان؟

ها هو (زكريا) يملص من روايتك فيتقمص مفرده جمعاً، وكيس الخيش يغدو أكياساً، والعيون الفلسطينية المتأسرلة تجوس في الإنتفاضة. وكما أسلم (زكريا) في روايتك (سالم) يسلم سواه سوى سالم، غير أن سكين (مريم) تصرع زكريا أخيراً، أما الأكياس.. العيون فلا ينفع أن يتعقبها المنتفضون، سواء من قبل أن تخبو الإنتفاضة أم من بعدأن قامت السلطة الوطنية الفلسطينية، وليس فقط - يا غسان - بفضل الحماية الإسرائيلية لمن تعاونوا معها، بل بفضل التعاون الأمني الرسمي الفلسطيني الإسرائيلي، وبرعاية حميمة من السي. آي. إيه، فاطوِ (ما تبقى لكم) يا صاحبي وامضِ بسلام قبلَ أن يغتالك معها.. هذه المرة.. إبداعنا الأمني العتيد.

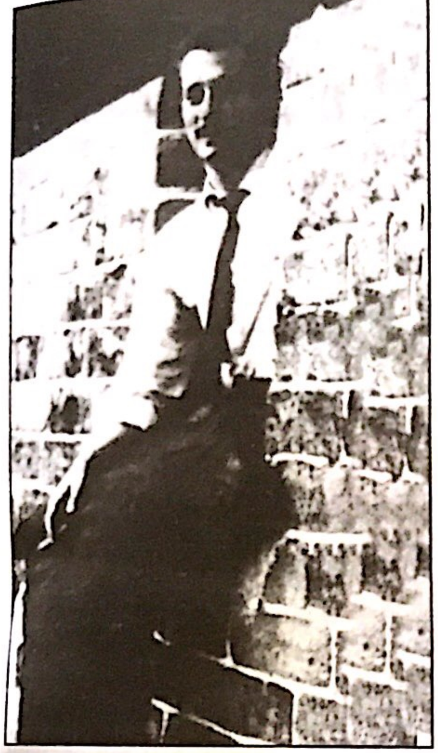
أظنك قد رأيت بعد استشهادك (غوار) في مسرحية (كاسك يا وطن) يصدع أباه الشهيد فيما فعلنا بعد استشهادكما. على أية حال ها أنذا أقف موقف (غوار) في موسمك وموسم مجلتك، أضاعف مثل الآخرين هذا الصدأ على سكّينك، أو أقصّف فرشاتك، كي يعجزك أن تتشكّل بهذه أو بتلك زيتيةً مهما ضؤلت. ولن يكون أمرك أفضل لو أسرعت إلى أقلام الفلوماستر، فالحصان الذي كنت تشكّل مرة بعد مرة، قد طوته قصتك (لو كنت حصاناً)، ولم يعد الحصان يحمل على عنقه ضحيته منذ ولادته، وما عدت ترى على جنبه الأيمن - ولا الأيسر - بقعة كبيرة ولا صغيرة، فاحمل لوحاتك ومنحوتاتك وتخطيطاتك وأغلفتك وامضِ بسلام، قبل أن تغتالك معها - هذه المرة - حداثتنا وما بعد حداثتنا في إبداعنا - الأمني وغير الأمني - العتيد.

من موقف (غوّار) يا صاحبي اصدع العالمين بقصتك (أبعد من الحدود)، فقد غدونا جميعاً في الهواء سواء، لا فرق بين عربي وعربي إلا بقدر ما يردد مما ضاقت به قصتك: «لست صوتاً انتخابياً، ولست مواطناً بأي شكل من الأشكال، ولست منحدراً من صلب دولة تسأل بين الفينة والفينة عن أخبار رعاياها. وأنا كفرد: مجرد خنزير، وكجماعة: مجرد حالة ذات قيمة تجارية وسياحية وزعامية..».

لا تستزدني بالله عليك، لأنك إن فعلت فسأرميك بفلسطينين وعراقين وكويتيين وسواهم من بني يعرب الأماجد، وهم يشلّعون روايتك (رجال في الشمس) قبل وأثناء وبعد عاصفة الصحراء.

عاصفة الصحراء، أي نعم يا غسان، فمتْ غيظاً مادامت الطريق التي كان (أبو الخيزران) يحسبها صراطاً قد غدت حقاً صراطاً، مستقيماً أو أعوج: لافرق: بين العراق والكويت أو بين أي شقيقين عربيين: لا فرق، بين الجنة والنار أم بين النار والجنة: لافرق، فواحدنا يتباهى الآن إذ يسمي ابنه بجورج بوش، فاحمل روايتك يا صاحبي وامضِ بسلام قبل أن يغتالك معها - هذه المرة - إبداعنا القومي أو إبداعنا القطري أو إبداعنا العولمي أو..

الآن سأدع حامد يصارع العسكري الإسرائيلي في الصحراء أو في رواية لازال اسمها (ماتبقى لكم). سأدع مروان وسعد وأبا قيس وأبا الخيزران يصارعون الخسة والحدود وجوازات السفر ولقمة العيش وكذبة الأمل بين غزة - أو أي غيتو فلسطيني - والعراق أو الكويت أو أي غيتو عربي لم تحلم به رواية لازال اسمها «رجال في الشمس». وسأناديك يا صاحبي شامتاً بك أو مشفقاً عليك إلى رواية كان اسمها (أم سعد)، لترى بأم عينيك الشال الأبيض قد اسودّ حول رأس أم سعد، ومريولها قد غدا منشفة للدم، والحجاب الذي حملته من فلسطين قد طوّق عنقها من جديد ورمى بسلسلة سعد الذي يجار ليل نهار من (عين الحلوة) إلى أي مخيم: يا يمّا ردّي عليّ، ولا من مجيب، فليس من مخيم فلسطيني أو عراقي أو سوداني أو.. عربي، إلا وقد ملص فيه سعد من روايتك، وتقمص مفرده جمعاً، فإذا بالمهرب



والقاتل والخانع والجاسوس يتدافرون ويقلبون عاليها سافلها، وإن لم تصدقني، إقرأ ما كتبت بعدك بأقل من ثلاثين سنة هذه الفلسطينية نعمت خالد في رواية سيظل اسمها (البدد)، أجل يا غسان: بدد بدد، صرنا نطوح رؤوسنا ونردد، بدلاً مما لعلك تذكر: مدد مدد.

غسان: أنت لاتعلم أن أيهود باراك قد غدا الآن حبيبنا، حبيب السلام، لكنك تعلم أنه يتهيأ لاغتيال فلسطيني ما، عربي ما، لم يركع بعد. وفيما يخطط باراك ثم ينفذ بنفسه كما فعل ذات يوم قريب قريب، خذ أنت بيد هذا الذي لم يركع، أكتب له القصص والروايات يا صاحبي، ارسم له وانحت، ارمه بمجلتك وبمرضك، ثم نجه بعشقك. وبصراحة، فقد تلا عليّ هذا الذي لم يركع، مما كتبت لغادة السمّان قبل أن تفضحك وتفضح نفسها، فتلوتُ على آخرين وأخريات مما كتبت في ٦٦/١٢/٢٧ أن الحب شيء وعلاقتك بحبيبتك شيء آخر، وأنك تدفع معها ثمن تفاهة الآخرين، كما تلوت أنك كتبت في ٦٧/١/٢٤ «أنا لا أحبك فقط، ولكنني أؤمن بك»، لكنني جبنت عن أن أتلو على صديقتي ما كتبت أنت لصديقتك في ٦٧/٢/٤: «وإذا بدّلك شيء ما في لندن، ونسيتِ ذات يوم اسمي ولون عيني، فسيكون ذلك موازياً لفقدان وطن. وكما صار في المرة الأولى سيصير في المرة الثانية: سأظلّ أناضل لاسترجاعه، لأنه حقي وماضيّ ومستقبلي الوحيد».

هل تعلم يا صاحبي لماذا جبنت؟ عدْ إذن إلى بداية هذه السطور، وسلاماً■■

في الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاده:

غسان كنفاني وبندقية الكلمة

عبد الإله بلقزيز

رحل غسان كنفاني سريعاً ولما يكمل عامه السادس والثلاثين. أخذه جهاز «الموساد» غيلةً في بيروت قبل سبعة وعشرين عاماً، ليخطف من الثورة والأمة وهجاً من شعلة العطاء المتقدة فيها، وليقيم على نفسه ودولته الحجة عينها التي أقامتها النازية على نفسها: احتساب الثقافة والفكر في جملة أعداء الفكرة النازية: ألم يقل وزير هتلري وساعد أيمن للفوهرر - «عندما أسمع عبارة ثقافة، أتحسس مسدسي»؟! فحلت دولة التوراة ذلك، حين رصدت عدوها ! الذي تخشاه في بيروت لتفجر جسمه دفاعاً عن أمنها «القومي» الذي هدّدته «عائد إلى حيفا» وافتتاحيات «الهدف»!

رحل غسان مبكراً جداً، لكنه خلف تراثاً فكرياً وثقافياً غزيراً ومميزاً، متشعب الهواجس والجبهات، والأدوات، الرواية، والقصة القصيرة، والنقد الأدبي، والكتابة السياسية، والتشكيل وفي كل ذلك الذي كتبه، كان رائداً يحمل الجدّة والتميز، ويثير من الأسئلة ما يغمر حقل الكتابة الذي ولج لفترة تمتد في الزمان فتتكون في أحشائها حساسية عالية تطبع معظم من ألف على مقامه. كان مدرسة بكل ما في الكلمة من معنى، وكانت أخلاق مدرسته الصدق في التعبير، والالتزام بالموقف، والمسؤولية الشجاعة في الكتابة، كان من صانعي الواقعية النقدية في الانتاج الأدبي، على ما تشهد على ذلك رواياته. غير أن الحساسية الواقعية - التي تشربها من معاناة اللجوء والتشرد لم تذهب بنفسه الرومانسي الوديع: الذي طبع أعماله بشعرية عميقة ضخت عناصر حياة جديدة في الرواية العربية، لتخرج الواقعية التعبيرية من النظرة المرآوية الجامدة للأشياء. وفي السياسة كان أمره كذلك: كتب بغزارة دفاعاً عن شعبه وقضيته، وساجل دفاعاً عن رأي فصيله الوطني («الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين») غير أنه ظل - في كل ما كتب - قادراً على الارتفاع عالياً عن اللغة التقريرية المحنّطة، لنحت مفردات تعبير أغنت القاموس السياسي العربي الحديث، وجَسَرَت الفجوة بين لغة السياسيين الخطابية والمنبرية ولغة المثقفين الرشيقة التي تجفل من اتيان القول الغليظ..

ولم تكن الفجوة التي جسرها غسان بين لغة السياسة ولغة الفكر الأدبي إلا لحظة من تجليات شخصيته، حيث مثل النموذج المرجعي العربي المعاصر لالتحام الفكر بالممارسة، وتجنيد المعرفة والثقافة لخدمة القضية الوطنية. لقد جسر غسان الفجوة بين المثقف والمناضل، منذ بواكير شبابه، وتكفلت تجربته في «الجبهة الشعبية»، وفي مؤسستها الإعلامية، بصقل ذلك الالتحام بين اللحظتين، حداً توج غسان كنفاني على عرش الالتزام الثقافي في الوطن العربي. ولم يكن الاجماع العارم عليه، في مجتمع المثقفين العرب، وقد تجلى - أكثر ما تجلى - في حفل تشييعه، سوى أقطع دليل على أن غسان خرج من مفرده ليتحول جمعاً واسعاً عاماً لحالة انطلقت، فعظمت وباتت عنوان حقبة هي من أخصب حقب الثقافة العربية: عنوان كينونة ثقافية متحققة في امتداد فعل التحام هادف بقضية الإنسان والمجتمع والأمة.. بقضية الحرية.

لم يكن اغتيال الشهيد غسان كنفاني تفصيلاً في حرب التصفية التي شنتها أجهزة العدو على كوادر الثورة، بعد خروجها حية من جحيم عمان وأحراش جرش وعجلون، ونجاحها السريع في إعادة إنشاء قاعدة انطلاقها من الساحة اللبنانية، كان إلى جانب ذلك وقبله - محاولة لاغتيال العقل الفلسطيني وتجفيف مصادر الإنتاج الفكري في المجتمع الفلسطيني، وهي حلقة مركزية في استراتيجية العدو، لم نتقن الانتباه إليها - بما يكفي قبل سقوط غسان. لذلك لم يكن عبثاً أن تصفية هذا العقل - في شخص المثقف غسان - جاءت زمنياً سابقة لعملية «فردان» في قلب بيروت وسلسلة عمليات تصفية الكادر السياسي والعسكري والأمني للثورة الفلسطينية وقد تطلب منّا وعي حقيقة الرعب الذي تزرعه الكلمة في روع العدو زمناً طويلاً نسبياً، حيث شاهدنا حالة الهستيريا التي تلبست الإرهابي اسحق شامير، في جلسة للكنيست الصهيوني، وهو يلقي بأقذع الشتائم على سيده الشاعر محمود درويش عن قصيدة طالب فيها اليهود بأن يخرجوا من تاريخنا، وأن يأخذوا «هيكلهم» ويرحلوا..

كان استشهاد غسان خسارة فادحة للنعامة العربية، للفكر السياسي، وللإبداع الأدبي، وللصحافة العربية، وكان خسارة غير قابلة للتغطية للثورة الفلسطينية وكفاح شعبنا العظيم غير أن سقوطه في اليوم الثامن من يوليو عام ٧٢، كان إيذاناً بتحول الالتزام: التزام المثقف، من حالة فردية تراجيدية، إلى ظاهرة صنعت لها جيشها العرمرم من الذين ارتضوا أن تشتري منهم شعوبهم أنفسهم - من المثقفين - ومن الذين نذروا أقلامهم للمدافعة والمنافحة عن مقدساتهم الوطنية والإنسانية. كان قدر غسان أن يبادر ويقدم الدليل بدمه الزكي. لكنه - ككل معلم عظيم - حاز دون سواه شرف السبق في تعيين معنى جديد للمثقف.

كان غسان أول فدائي يقدمه المثقفون العرب وقطعاً لن يكون آخرهم..■■

زيارات لضريح الشهيد غسان كنفاني

بمناسبة الذكرى ٢٧ على استشهاد الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني وبدعوة من منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت يوم الأحد ٧/١١ بحضور فعاليات مخيم شاتيلا وأعضاء الجبهة والفصائل الفلسطينية تم وضع اكليل من الزهور على ضريح الشهيد الكائن في مقبرة الشهداء في بيروت. تحدث بهذه المناسبة الرفيق يوسف لطفي مسؤول الجبهة الشعبية في مخيم شاتيلا عن الشهيد الكاتب وشكر الحضور.

ومن جهة أخرى قامت مؤسسات الشهيد غسان كنفاني «روض الأطفال» بزيارة ضريح الشهيد يوم الخميس ٧/٨ وبحضور الرفيق المناضل أبو ماهر اليماني وآني كنفاني حيث وضعت الزهور على قبر الشهيد غسان كنفاني وابنة أخته لميس التي استشهدت معه في ٧/٨/ ٧٢ على يد عصابات الموساد الإسرائيلي.

طلال سلمان في منتدى غسان كنفاني الثقافي

غسان كنفاني صديقاً

استضاف منتدى غسان كنفاني الثقافي في مخيم اليرموك بدمشق، في ١٦ تموز الجاري، الأستاذ الكاتب طلال سلمان رئيس تحرير جريدة السفير اللبنانية بأمسية ثقافية تحت عنوان: «غسان كنفاني صديقاً»، وذلك ضمن الأسبوع الثقافي الذي أقامه المنتدى «بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد الكاتب المناضل غسان كنفاني»، وقد حضر الأمسية شخصيات سياسية وثقافية بارزة وعدد من قياديي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والفصائل الفلسطينية في الساحة السورية.

وابتدأت الأمسية بكلمةٍ للزميل محمود السرساوي مدير المنتدى قال فيها:

كأننا نحتاج دوماً أن نسمي البدء، أن نقوله بحاسةٍ تفوق اللغة والأسئلة كلما أيقظت صرخة ما، جنون الذاكرة الأولى، وعصيان دمعتها المنتصبة أمام خسارة جديدة أو خيبة عارمة.. نحتاج أن نحاول الموت كي لايحولنا إلى نسيان سابق أو لاحق على وجه البسيطة.

نبتعد أكثر او نقترب أقل من الأمنية، لكن من حق شاهدنا وشهيدنا أن يقول لا للمغفرة.. فالمشهد عارٍ والصحراء تتسع أمام العيون، والطعم يشتدّ ملوحة في القلب لذلك نحتاج أن نسمي البدء من جديد كلما أعدت علينا ما فينا من نقص في الحب والنقد والتمرد. لتسأل مرة أخرى لماذا لم تقرعوا جدران الخزان.. فلم نقرأ في مراياك التشابه، ولم تعتد في مخيلتنا النسخ أو المسخ لجمال التجربة وحوارها الذي نعيشه هذه الأيام، ولذلك نلح في استحضارك لنؤكد على أصالة المعنى ودلالة الحلم بعدما حفر اللصوص خنادقهم حول أرواحنا، وصارت القراءة قاتلة لمفارقات الساحر والبطل في مرآةٍ وجوهنا.. ونحن إذ نستضيف كاتباً كطلال سلمان نستضيف ذلك المعنى وتلك الدلالة وطلال ليس صديقاً لغسان وحسب بل كاتباً من طراز رفيع يجمع بين عين السياسي وشغب المبدع بروحٍ من حريةٍ وحياة،

فكم من طلقة وقنبلة وعبوة



استهدفت طلال ليكفّ عن تعرية المشهد، واستنفار «سفيره» في مواجهة الظلمات لكن طلال كما سفيره ظل عنيداً وحالماً وعاشقاً لافتتاحياته وهوامشه وأحلامه بعروبة ناهضة وجبهة عالية، عالية، فأهلاً بطلال سلمان في منتداه، منتدى غسان كنفاني الثقافي.

كلمة طلال سلمان

يتجدد اللقاء، سنة بعد سنة، في الموعد الحميم، لنحتفل بعيد ميلادك أيها الذي لم يقتله الإغتيال، ولم يغيبه النسف الذي نثر قلبه زيتوناً ورماناً وتيناً ووروداً وياسميناً في ضاحية مارتقلا، شمالي بيروت، لتكون علامات على الطريق إلى عكا في فلسطين، وإلى الحرية في كل أرض عربية.

لا أنت تهجرنا يأساً منا، ولا نحن نهرب منك إلى النسيان خوفاً من مثلك الباهر، وإن كنا نخشى دائماً أن تطل علينا من علياءك فتسألنا أين نحن منك، أين نحن من عكا، أين نحن من فلسطين، أين نحن من الحرية، أين نحن من العروبة، أين نحن من أنفسنا؟

تستقر في ضمائرنا كالديّان، لاتغفل عن شيء ولا تتهاون مع خطأ، ولا تغفر انحرافاً ولا تقبل عذراً كالتعب وثقل السنين وبعد المسافات بين البدايات المشعة بالأمل والإرادة وبين ما نحن فيه من استكانة واستسلام للعرض الذي لانقدر على رفضه تحت لافتة السلام، لأننا نبدو كمن فقد القدرة على مواصلة المقاومة



فانثنى مكسوراً مخلفاً وراءه الشعارات الوهاجة وأناشيد الكفاح المسلح ورايات التحرير.

ممنوعة أغانينا القديمة، أحلامنا القديمة، يا غسان،

«راجعين، بقوة السلاح.. راجعين نحرر الحمى»

«راجعين، كما رجع الصباح، من بعد ليلة مظلمة»

لم نقرأ ما كتبته إلينا، فور وصولك مجللاً بدم الشهادة إلى عكا، ومن قرأه أمس ينكره اليوم، لأن النص ·أبعد من مدى الذراع.. وربما الخيال.

أما أنت فترفض أن تقرأ ما نكتبه اليوم، مناقضاً لما وعيت ولما كتبت بحبرك قليلاً وبدمك كثيراً، حتى لاتهوي من علياءك فتموت فعلاً، مخذولاً ومتروكاً في لجة فقدان الهوية، وحلم التحرير وأمل العودة.

ربما لهذا أسمح لنفسي بأن أعود فاستعيد وأعيد على مسامع هذه القلة الصامدة على عهدها، القابضة عل جمر إيمانها، رسالتك الأولى من عكا، والتي أستخرجها الآن من تحت ركام الخيبات والآمال المكسورة والإنحرافات التي أخذت فلسطين سلطة شرطة إلى إسرائيل بدلاً من أن تأخذ فلسطين من إسرائيل فيكون التحرير مزدوجاً، بل هو سرعان ما يغدو تحريراً لعالمنا كله من الإنكسار والتمييز العنصري والانسحاق تحت أثقال الهزيمة أو التعاظم بشعور التفوق المطلق كقوة احتلال لاتقهر ولا تتبدل طبيعتها ولا تمكن إزالتها لا سلماً ولا حرباً.

ووالهفتاه على المحاربين..

كتبت إلينا ضحى ذلك السبت الثامن من تموز ١٩٧٢ ما حرفيته:

أكتب إليكم من عكا..

.. ومثلكم أنا، أكاد لا أصدق أني أخيراً عدت إليها فأمد بصري عبر نوافذ منزلنا إلى الجهات الأربع استوثق مستشهداً بالأبنية والحجارة والأشجار وبقايا السور والقلعة والبحر والهواء وأشعة الشمس وشباك الصيادين وكل الأشياء الصغيرة التي شكلت لي على امتداد أربع وعشرين سنة صورة المباركة فلسطين.

هذا بيت خالتي «بحجارته المقدسية المتوقدة التي تشبه أرغفة تخرج من الفرن، وعلى الحاجز الحديدي تدلت عرائش الـ «بواق، الأحمر».

لقد كبرت الياسمينة، بالفعل يا خالتي.. وزهراتها البيضاء المثلثة تحدق - كما العيون - في ما حولها باستغراب، تفتش عن وجه أليف، عن يد حانية، حتى إذا أعياها البحث التفتت إلى الحجارة السمراء تحضنها برفق وتلوذ بها.

«وهذه هي الساحة الأمامية.. كانت ملعبنا حين كنا..»

والمصطبة.. ويهدر في أذني صوت عمي حين رأى صورتها، مرة، فاستذكر واقعة قديمة، قال عبر ضحكاته:

«..وهنا نزلت بقضيب الرمان عليك. أنسيت؟ جئت يومها تمشي وأنا جالس على المصطبة، وقلت لي: أنظر ماذا وجدت ورأيت بين يديك قنبلة يدوية، وكنت قد نزعت حلقتها، يومها وقف شعر بدني وهجمت عليك وانتزعتها من بين يديك وقذفتها إلى الخارج. أنت لم تجدها أيها الملعون. لقد تسللت إلى غرفتي وسرقتها ولعبت بها، وسترك الله فلم تنفجر لسبب لازال يحيرني. يومها نزلت بقضيب الرمان عليك في حفلة لم تعرف عمرك ما يماثلها».

أكتب إليكم من عكا.

وعن عكا تريدونني أن أحدثكم· أعرف. وأسمع الآن بوضوح حفيف أجنحة شوقكم إليها فوقي، إلى يميني، إلى يساري، خلفي وقدامي· سأصارحكم بشيء: رحلة العودة

إلى عكا أقل مشقة وإرهاقاً من الشوق إليها.

أم سعد قالت لي مرة: كن رجلاً تتصلها في غمضة عين، أما إن كنت لاجئاً فلن تراها أنت، ولن يراها حتى حفدتك.

أقول لكم: إن الرجال كثرة هنا. كل الذين اختاروا أن يعودوا وصلوا فعلاً.

بعضهم جاء عبر النهر، وبعض عبر الجليل، وآخرون عبر الجولان. أما أبناء غزة وخان يونس ورفح والعريش فقد مدوا أجسادهم جسراً فوق خط الحدود القديم حتى أمحى تماماً وعادت إلى التراب الوطني الفلسطيني وحدته الأبدية.

لعل بعضكم يسأل الآن أو يتساءل.. ومن أين الطريق إلى عكا، أو يافا، أو حيفا، أو القدس، أو جنين، أو طولكرم أو قلقيلية أو أم الفحم أو الناصرة الخ؟

ولست أعرف جواباً من خارج تجربتي، وتجارب الآخرين الذين التقيتهم هنا.

أكتب إليكم من عكا،

عكا التي أعرفها، بعد، برغم النفي والعذاب والتشريد والسجون والجوع إلى الوطن.

بل ربما بسبب من ذلك كله مازلت أعرفها كما تعرف باطن راحتك. حجراً حجراً، بيتاً بيتاً، شارعاً شارعاً، ساحة ساحة وأعرف أرضها شبراً شبراً وزيتونة زيتونة، وأعرف أكثر ما أعرف القبور.. أليست هي سطور تاريخي؟!

كنت على موعد معها..

وكانت هي التي حددته، ولم أكن أعرف ميقاته بالضبط، فأمضيت أربعاً وعشرين سنة أنتظر. لا لم يقتلني الإنتظار. كان الزمن يقربني منها أكثر فأكثر، يلصقني بترابها، ولما دوت أول رصاصة علمت أنني قد عدت إلى رحمها، كرة أخرى وأن علي أن أستعد للحظة الميلاد الجديد.

كنت أعرف أني لن أعود إليها إلا إذا صرت مثلها..

وفي تلك اللحظة الفاصلة بين الدوي والتمزق لمعت أمام عيوني الحقيقة كنصل سيف عربي: ها أنذا، أخيراً، على طريق العودة.

قلت لنفسي: لقد جاءوا أخيراً.

وابتسمت بسعادة غامرة، فكثيراً ما كتبت متسائلاً: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ وها أنذا أترجل أخيراً وأدخل منزلنا في عكا من بابه الذي انفتح الآن على مصراعيه كذراعي أم تستقبل بكرها بعد عقم طويل.

أكتب إليكم من عكا..

وأعترف أن رسالتي الأولى لن تكون بالمستوى المطلوب، لكنكم بالتأكيد ستغفرون لي اضطرابي: ما أروع أن نعيش لحظة الميلاد الجديد.

كنت منثوراً في الأرض كالبذار.

لم أكن مزقاً. كنت بذار لموسم جديد. ألم أحدثكم عن العودة إلى الرحم، كرة أخرى..

وجاءت أمي، فهتفت بي: بوركت أيها الفتى الطيب. كن شجرة مباركة في أرض لبنان. كن زيتونة تنفع الناس. كن زيتاً يضيء مصباح مارتقلا حتى يمزق ضياؤه أستار الظلمة والظلم فلا يبقى في الأرض غير كل جدير بها.

كان ثمة كثيرون قد جاءوا أيضاً يزحمون المكان بالضجيج والاسئلة السخيفة:

من؟ ماذا؟ لماذا؟ أين؟ متى؟.

مرة قالت لي أم سعد:

«ولماذا أنت حزين وغاضب؟ حين يموت الرجل فليس السؤال الذي يملأ رأسه هو «كيف» ولكن «لماذا». حين يموت الرجل الذي لا أرض له فليس السؤال أين يدفن، ولكن أين سيدفن أولاده، أفهمت يا ابن عمي؟»".

«قلت لها، يومئذ: ـ ليس هو يا أم سعد، ليس هو هو. إنما الأمر كله نحن. حين يموت الرجل إنما يسقط على أكتاف الذين لم يموتوا بعد».

«قالت أم سعد: ولو. أتعرف، يا ابن عمي، لماذا كانت صلاة الغائب؟ لأن الأبطال لايموتون على أسرتهم. لأن الرجال يمضون إلى مصائرهم ويتصيدونها. لصلاة الغائب عندنا ثواب الحاضر. لأننا لانصلي لجثة. أتفهم؟»

أكتب إليكم من عكا..

أكتب إليكم لأقول: نحن أقوياء هنا، نحن الذين عدنا أقوى منهم.

أكتب إليكم لأقول ما قالته لي أمي وهي تراني منثوراً كالبذار في شعاب الحازمية، قرب بيروت. قالت لي:

ـ بوركت أيها الفتى الطيب. بوركتم جميعاً يا أبنائي المزروعين «في لحم هذا الوطن المثخن بالنزيف. ستكون نعوشكم المنفية علامات الطرق ونسغ الأشجار، وسبل الماء، وأيقونات الإيمان، وأنصاب الميادين، وبوابات الحدائق، على عرض هذه القارة الممتدة من موريتانيا إلى ظفار».

«كونوا غابات من الرماح المشرعة في وجه الشمس، المغروزة عميقاً في بدن الصحراء المجرحة الهزيمة، مثلما تنتشر أشلاء الشهيد في ميدان كبريائه البطل».

«لقد بذرتكم داخل عروشكم المنفية طول هذه الأرض وعرضها، وجعلتكم هواءها ورنتها وقلبها الذي يدق بالنداء كما تقرع الطبول. لقد وضعتكم تحت جلد كل مدينة في بلادنا، ودفنت نعش كل منكم مثلما يدفن اللغم».

«لقد علقتكم على عنق هذا الوطن كما تعلق القلادة.. وسأترك قلوبكم الحية تقرع في صدر هذه الأمة المغلوبة على أمرها وصاياها ونداءاتها..»

أكتب إليكم من عكا..

أكتب إليكم لأقول: من عاد إلى عكا عادت إليه، ومن عاد إلى القدس عادت إليه، ومن عاد إلى سيناء عادت إليه، ومن عاد إلى الجولان عادت إليه.

أكتب لأقول: إن الطائفية لاتحمي أحداً، وإن الإقليمية لاتحمي وطناً، وإن الأجنبي لايضمن الحياة لأمة ضن عليها أبناؤها أنفسهم بأسباب الحياة.

أكتب لأقول: إن عكا هي بيروت. إن عكا هي القاهرة. إن عكا هي دمشق وبغداد والرياض وصنعاء وتونس والجزائر ومراكش ونواكشوط. أكتب لأقول: أنا أي واحد فيكم. الفرق الوحيد بيننا أنني سبقتكم إلى العودة، فإن لم تضعوا أقدامكم على طريق العودة وجدتم أنفسكم، فجأة، في الخارج.. خارج المكان والزمان.

أكتب لأقول: الأرض هي الزمان هي الماضي، هي الحاضر هي المستقبل. الأرض هي الحرية والمجد والكرامة والقداسة. ومن لا أرض له هباء تذهب صلواته، وجوعاً هو صيامه، ففي حالة المنفي تندمج صورة الله في الأرض فيغدوان واحداً.

أكتب إليكم من عكا..

وأجد الجرأة الكافية لأن أقول: أنا بخير فاطمئنوا.

فأنا الآن في منزلي، ومعي هنا كثيرون سبقوني إلى العودة.

ونحن بانتظاركم. ولن نطمئن حتى تصلوا عائدين.

عكا تشتاقكم، وكل المدن الأخرى. لاشيء نسيكم هنا. حتى صدى وقع خطواتكم على الأرض مازال يرن. كأجنحة فراشات. في الهواء الندي.

أيها الغائب ـ الحاضر

يا صديق العمر الذي تركنا بغير وداع،

بيننا هنا وحيثما تواجدت فلسطين بناسها، شهداء ومنتظرون، من يغبطك: لقد «عدت» في الموعد الصحيح، بينما تستحيل العودة على الآخرين اليوم حتى عبر الطريق المفجع الذي اختاروه لك.

لكننا نعرف، من تجربتك كما من سيرة صناع التاريخ عموماً، أن اليأس انتحار مبكر، ولسنا من دعاة الإنتحار، وأن الإستسلام خروج من الأمة وعليها وليس من فلسطين وحدها، ولسنا ممن يخرجون على وطنهم أو أمتهم إذا ما واجهت ظروفاً صعبة. فلطالما خيمت عليها ظلمة التخلف والإحتلال والضياع في فترات اغتراب عن الذات أو تغرب في الهجانة ثم عادت إلى نفسها وإلى طريقها وإلى رسالتها أقوى وأنبل وأعظم إيماناً.

وها هي دمشق قلب العروبة النابض وسيفها مازالت ترفع رايتنا خفاقة، وتحمي صمودنا، برغم فداحة الأكلاف، فالصمود لايقل صعوبة أو شرفاً عن الجهاد من أجل التحرير، بل هو عنوانه وبعض متنه.

لكن حافظ الأسد الذي يستوطن التاريخ ويستقرئه ويفهمه قد اختار مثله ونموذجه في اللوحة اليتيمة التي تتصدر ديوان استقباله: من حطين وليس إلا منها.

وها هي المقاومة الباسلة في لبنان بمجاهديها الميامين تواصل جهدها المبارك لإجبار الإحتلال الإسرائيلي على الخروج من لبنان بغير اتفاق إذعان.

بل ها هي تخترق الكيان الصهيوني نفسه، فتخرج الأمهات في تظاهرات باكية لاستنقاذ أبنائهم من الموت المجاني في الشريط المحتل من أرض لبنان، وتدفع بالأحزاب لأن تتبارى في طلب الإنسحاب المعجل، ولو من طرف واحد، وتدفع بالجيش ذاته، المتفوق على مجموع القوى العسكرية العربية، إلى المطالبة بإخراجه من الأرض التي استعصت على أسلحته المتطورة، وناسها الذين تعلموا كيف يصطادون الجنرالات والضباط والجنود ثم يرجعون سالمين وكأنهم كانوا في رحلة صيد.

ولقد حملني هادي حسن نصر الله، باسم شهداء المقاومة، التحية إليك، في انتظار أن نلتقيا في رحاب الخلد نبراسين لطريقنا غداً.

سلام عليك، أيها السابق، كعادتك دائماً،

سلام على الشهداء الأحياء، وأخص بالذكر منهم «الحكيم» جورج حبش وأني العظيمة وسائر الرفاق الذين لم ينسوا،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■■

اضطهاد مزدوج*

واقع النساء العربيات في إسرائيل

ايرين هواري**

ترجمة بسمة شاهين

التزمت إسرائيل كما غيرها من الدول المشاركة في القمة العالمية لتطوير المجتمع المنعقدة في كوبنهاغن عام 1995 بالعمل من أجل التطور الاجتماعي لمواطنيها، كما صادقت في السنوات الأخيرة على عدد من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، بما فيها الاتفاقية من أجل الحقوق الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية (CESCR) والاتفاقية من أجل إزالة جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW).

وبمراجعة قصيرة لقضايا حقوق الإنسان بما يخص المواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل تطرح أسئلة متعددة حول مدى احترام إسرائيل لتعهداتها.

يعيش في إسرائيل حسب إحصائيات 1995 (1,040,000) مواطن فلسطيني، يشكلون نسبة 18,3% من مجموع السكان، وهؤلاء هم المتحدرون من الفلسطينيين الذين بقوا في البلاد إثر حرب 1948.

وتظهر الإحصائيات ذاتها أن عدد النساء والفتيات الفلسطينيات يبلغ 572 ألف نسمة من مجموع سكان البلاد.

تهدف هذه المقالة إلى مراجعة مدى التزام إسرائيل بخمسة من بنود معاهدة كوبنهاغن (القضاء على الفقر، التكافؤ في الفرص، المساواة في التعليم، الصحة، العنف) وسيتم ذلك من خلال مراجعة وضع المرأة العربية في إسرائيل وإثبات مدى انتهاك الدولة لحقوق مواطناتها العربيات بشكل مباشر أو غير مباشر عبر تجاهلها لمشكلاتهن.

الفقر:

أشار تقرير مؤسسة الضمان الاجتماعي لعام 1997 إلى أن 35,8% من العائلات العربية تعيش عند مستوى الحد الأدنى للدخل (على سلم يتألف من عشر درجات تصاعدية) و26,5% عند الدرجة الثانية، بينما 1,3% عند الدرجة التاسعة و 1,6% عند العاشرة، وهناك 28,3% من العائلات العربية تتضمن 32,6% من الأطفال يعيشون تحت خط الفقر، بينما تبلغ النسبة في عائلات وأطفال اليهود على التوالي 16% و 21,4% وتعتبر النساء دائماً الأشد فقراً.

وفي عام 1997 كان 80% من النساء العربيات القادرات على العمل محرومات منه، ومن المجموع الكلي للسكان كانت نسبة النساء العاملات 45,8%، و2% من هذه النسبة كن نساءً عربيات يعملن ضمن ظروف سيئة ولقاء أجور زهيدة، وقد اظهرت الأبحاث المنفذة أخيراً على أوضاع النساء العاملات في القطاع الخاص في الناصرة أن النسبة الكبرى من النساء العربيات العاملات (61%) يعملن تحت الحد الأدنى للاجور و72% يعملن دون أي عقد، إضافة إلى أن هناك نساءً يعملن دون أن يتم تسجيلهن.

في عام 1995 بلغ معدل الدخل الفردي للعمال العرب 68% من دخل اليهود، وتقاضت المرأة العربية 38,5% مما تقاضته المرأة اليهودية، وتعاني النساء العربيات من هذا الواقع رغم قانون العمل القائم على المساواة والذي يمنع التميز على أساس الجنس أو الانتماء القومي أو المعتقد أو المنشا.

ولعل أحد الأسباب الرئيسية لهذا الوضع عدم وجود أماكن عمل في الوسط العربي حيث الحكومة لا تشجع الاستثمار في المناطق العربية، و93% من الاستثمارات الحكومية تتم في المناطق اليهودية مما يعكس نفسه في عدد قليل جداً من فرص العمل للنساء، وقد بينت الأبحاث التي درست هذا الوضع في أماكن العمل أن 38,2% من النساء العربيات يعانين فقدان فرص العمل.

من جهة أخرى تواجه النساء العربيات صعوبات في ترك قراهن للعمل لأسباب اجتماعية، حيث إن المجتمع لايجد أنه من المناسب للمرأة ترك قريتها للذهاب للعمل، يضاف إلى ذلك المشاكل العملية التي تبدأ بعدم وجود مواصلات عامة في القرى والبلدات العربية وغياب المساواة تجاه رعاية الأطفال الصغار حيث في الوقت الذي نجد 95% من الأطفال اليهود تحت سن ثلاث سنوات يحصلون على الرعاية في رياض الأطفال، هناك فقط 44% من الأطفال العرب من ذات الفئة العمرية يحصلون على هذه الفرصة.

المشاركة في الحياة السياسية والمدنية:

لايحصل العرب في الانتخابات العامة على ممثلين يتناسبون مع قوتهم الانتخابية، حيث نجد في الكنيست مثلا 12 عضواً عربياً من أصل 120 ولايوجد أي امرأة بينهم، إضافة إلى أنه لايوجد قانون يضمن حضور المرأة في الانتخابات.

ويتم من جهة أخرى وفي اغلب الأحوال إهمال نسبة العرب في المواقع المتقدمة في الدولة حيث أن حصول العرب على وظائف يتم عرقلته عبر متطلبات قانونية لاتتوفر فيهم، مثل الخدمة العسكرية،حتى الوظائف التي لاترتبط بالقطاع العسكري، مع أن أكثر من 90% من المواطنين العرب لايخدمون في الجيش قانونياً.

ومن ضمن 641 من المدراء الرئيسيين في الشركات الحكومية هناك فقط ثلاثة من العرب، أي أقل من 0,5% ولايوجد أي امرأة عربية، ومن أصل 1059 من المدراء في الشركات الحكومية هناك فقط 15 عربياً وأيضا لايوجد أي امرأة.

وفي قطاع القضاء نجد نفس الوضع، فهناك قاض عربي واحد وهو رجل، شارك في هيئة المحكمة العليا، وهناك 19 قاض عربي مستخدم في محاكم الدولة بينهم أربع نساء فقط.

في عام 1993 نجح اللوبي النسائي الإسرائيلي في الضغط على الحكومة لتغيير فقرة في القانون بما يضمن تحسين وضع النساء في جميع الشركات الحكومية، وعلى أساس هذا القانون قاضى اللوبي المذكور شركتين حكوميتين لعدم وجود نساء في هيئاتها، وقررت المحكمة أن الشركتين قد خرقتا القانون.

وبنفس الوقت دعمت المحكمة تطبيق مبدأ المساواة عبر إجراءات مشددة، وقررت أن الهيئات يجب أن تحتوي على نسبة مناسبة من النساء، وتشكل النساء حالياً 30% من أعضاء الهيئات الإدارية، ولكن لم تستفد من هذا القانون سوى نساء الفئات العليا لأنهن من يملكن المؤهلات الملائمة لهذه الوظائف، وقرار المحكمة لم يفدهن بشيء.

وبالإضافة إلى محدودية الفرص والمصادر، نجد أن السلطات المحلية هي المكان الوحيد حيث يستطيع العرب أن يكونوا في موقع السلطة، والصراعات على هذه المواقع عنيفة ومن الممكن أن تكون دموية. وطبيعة التقاليد

والروابط الاجتماعية وبالنتيجة تهمش النساء، وهن الغائب الأكبر في المجالس المحلية، فمنذ تأسيس إسرائيل عام 1948 كان هناك فقط امرأة واحدة وصلت إلى رئاسة مجلس محلي، أما الآن فلايوجد أي امرأة في هذا المنصب.والتقاليد الاجتماعية تفرض على النساء البقاء في البيت لرعاية أطفالهن وخدمة أزواجهن.

الطريق الشاق إلى التعليم:

حققت إسرائيل أهداف التعليم الابتدائي، ولكن رغم وجود نظام تعليمي فمازال هناك تفاوتات كبيرة، حيث أظهرت تقارير المراقبين أن عدد التلاميذ العرب المتسربين من المدارس يعادل ضعف عدد أمثالهم في المدارس اليهودية.

ويتسرب تقريباً40% من الطلاب العرب مابين عمر 16 – 17 سنة مقابل 9% من الطلاب من نفس الفئة العمرية، إضافة لذلك فإن القرى غير المعترف بها لايوجد بها أي مدرسة، وهكذا يضطر الطلاب للسفر لعدة أميال سيراً على الأقدام للوصول إلى أقرب مدرسة، وبسبب العادات الاجتماعية فإن الكثير من العائلات الريفية في هذه القرى لاترسل بناتها إلى المدارس خارج القرية، ومعدل التسرب بين الفتيات مرتفع جداً.

ففي عام 1997 كان هناك 45% فقط من فتيات النقب في عمر المدرسة مسجلات في المدارس أما البقية فلم يذهبن إلى المدرسة أبداً، وهناك اختلافات واضحة في نسب القبول للمدارس العليا بين العرب واليهود فبينما النسبة العامة للمقبولين اليهود هي 65،9% نجدها في صفوف العرب 49،2% فقط، ونجد أن معدل الأمية بين النساء العربيات هو الأعلى بين جميع الفئات السكانية، وتظهر إحصائيات 1997 أن نسبة الأميات العربيات 11،7% مقابل 4% من اليهوديات. ونسبة النساء العربيات اللواتي لم يحصلن سوى على التعليم الابتدائي 22،2% مقابل 9،6% من اليهوديات ومن ضمن هذه النسب فإن15،2%من النساء اليهوديات تابعن التعليم مابعد الابتدائي مقابل 4% فقط في العربيات.

ويعود ذلك في أحد الجوانب إلى عدم وجود جامعات في الوسط العربي في إسرائيل وجميع الجامعات بعيدة عن المناطق العربية وأيضاً تعاني النساء من التمييز في المنح والحصول على أماكن إقامة.

الصحــة:

تشير الإحصائيات إلى أن معدل الوفيات بين الأطفال الرضع من العرب في إسرائيل يصل إلى 10 بالألف مقابل 5،5 بالألف بين نظرائهم اليهود.

وهذا التفاوت في النسب ليس مجرد صدفة، وإنما يعود إلى حجم المساعدات المقدمة لكل من اليهود والعرب وقد أقرت وزارة الصحة عام 1992 بأن الفروق في مجال الخدمات الصحية قد تراوحت مابين 30 – 40%، وإن انعدام الخدمات الصحية في الأوساط العربية يجبر العرب على السفر إلى المناطق اليهودية لتلقي الخدمات الصحية اللازمة.

وعلى سبيل المثال، بينت دراسة عام 1995 أن 42% من النساء العربيات في إسرائيل مضطرات لترك قراهن لتلقي الخدمة الصحية ويواجهن قيوداً اجتماعية بسبب سفرهن خارج القرية، إضافة إلى وجود مشكلة لغوية، حيث إن معظم موظفي الصحة من اليهود ومعظم الوصفات تكتب باللغة العبرية، وبالنتيجة فإن النساء العربيات يواجهن انعدام الوعي حول الخدمات الصحية المتوفرة، أدى ذلك إلى انعدام خطط الرعاية الأسرية في الأوساط الصحية وغياب تنظيم الأسرة وبرمجة الولادات.

وهكذا فإن معدل الخصوبة في الوسط العربي هو4،3 بينما يصل هذا المعدل إلى 2،6 بين النساء اليهوديات وهذا يرتبط بغياب برنامج التوعية الصحية، حيث93 % من المدارس العربية لاتقدم أي حصص للتوعية.

تعتبر الخدمات الصحية في القرى غير المعترف بها الأسوأ على الإطلاق في إسرائيل، وعلى سبيل المثال يصل معدل الوفيات بين رضع بدو النقب 23بالألف، والخدمات الصحية أساسية ومحدودة جداً، وتقدم بالأساس من قبل منظمات غير حكومية، وواحدة من كل ثلاث من النساء البدويات لاتتلقى أي خدمة من خدمات الطفولة والأمومة والأغلبية عليهن السفر بغية تلقي هذه الخدمات.

العنــف:

تعهدت إسرائيل في كوبنهاجن بإقامة مجتمع مستقر وآمن ومتضامن. وفي عام 1998 وقعت على الأقل ست نساء عربيات ضحايا لجرائم شرف، وسجلت المجموعات النسائية 16 حالة قتل في السنوات السبع الأخيرة إضافة إلى الحالات الأخرى التي يتم فيها الإساءة للمرأة بغطاء عائلي مثل المنع من العمل/ التعليم/ السفر، أظهرت الإحصاءات أن 50% من النساء العربيات المتزوجات يتعرضن للضرب مرة واحدة في السنة على الأقل و25% كل ستة أشهر، ونسبة قليلةمن النساء يقمن بالإبلاغ عن هذه الاعتداءات.

وقد أظهر التقرير السنوي لمركزين من مراكز دعم ضحايا الإساءات الجنسية العربيات لعام 1997 أن 276 امرأة حضرن للمراكز للمساعدة بعد تعرضهن للاعتداء. وقامت 179 امرأة بالإبلاغ عن أنواع أخرى من الإساءة مثل الضرب وتهديد الحياة.

تعتبر الجرائم ضد النساء نتيجة حتمية للتمييز الذي تتعرض له المرأة، تبرر هذه الأعمال في المجتمع الفلسطيني بأنها دفاع عن الشرف الذي يتركز في جسد المرأة والعنف العائلي هو قضية داخلية وقد فشلت السلطات حتى الآن في تقديم الحماية الكافية للنساء، وفي عدد من الحالات، عندما ذهبت النساء إلى الشرطة قام هؤلاء بإعادتهن إلى البيت، ووجد بعد أيام أنه تم قتل البعض منهن.

ومعظم النساء اللواتي يتعرضن لإساءات جنسية يبقين ذلك طي الكتمان خوفاً من نظرة المجتمع أو بسبب التهديدات العائلية أو لأسباب شخصية، وهؤلاء الضحايا يتعرضن للوم ويتلقين القليل من الدعم وتقول مراكز ضحايا الاغتصاب بأن 20 % فقط من هؤلاء يتجهن للشرطة وفي معظم الحالات لاتصل هذه التهم إلى القضاء، ويتعاون البوليس مع هذه القضايا بقليل من الاهتمام أو بالاعتماد على قوة الضحية وإرادتها.

ولايوجد في إسرائيل سوى اثنتين من النساء يعملن كمحققات في الشرطة ومعظم الضحايا يتم استجوابهن بواسطة ضباط شرطة من الرجال، والذين في معظم الحالات يكونون على معرفة بالضحايا أو بالمسيئين.

وهذا يجعل النساء غير مرتاحات في الإجابة على الأسئلة الحساسة أو إعطاء تفاصيل دقيقة ويتم إغلاق معظم الملفات بسبب غياب الاهتمام الرسمي أو أن الضحية تقتنع بالعودة إلى زوجها.

مؤخراً فقط حصلت مراكز الدعم على إذن بتدريب رجال الشرطة للتعامل مع الضحايا العربيات حيث أن دعم الحكومة لهذه المراكز مهمل على الأغلب، وفي عام 1997 لم تقدم وزارة الرعاية الاجتماعية والعمل سوى10% من ميزانيات هذه المراكز ■■

هوامش:

* المصدر: موقع الإنترنت لمجلة «أخبار من الداخل» الصادرة باللغة الإنكليزية عن مركز المعلومات البديلة.

http:// aic.netgate.net// nfw \jan 99 9906 p19 - 21 html

** إيرين هواري: تعمل في المركز العربي لحقوق الإنسان ضمن برنامج حقوق المرأة.

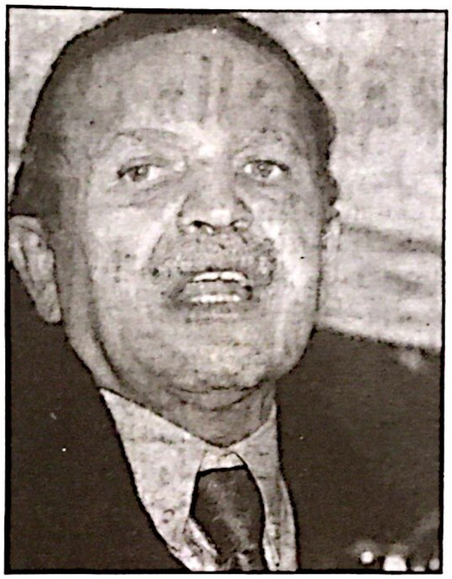
الرئيس عبد العزيز بوتفليقة واستحقاقات المصالحة الوطنية

الجزائر ـ حسين أبو سمرا

«لابد للجزائر من الخروج من مأساتها. فهذا فرض عين أخلاقي ولكنه أيضاً بل وأكثر ضرورة سياسية واقتصادية واجتماعية».

«عبد العزيز بوتفليقة»

إن من أهم الدروس المستخلصة من كفاح هذا الشعب وعظمة هذه الثورة هي رفض المساومة والتفريط بأي شبر من التراب الجزائري والاصرار على نيل الاستقلال كاملاً غير منقوص. فما أحوج الفلسطينيين في هذه الأيام لاستيعاب هذا الدرس وهم يفاوضون عدواً لايمكن التعايش معه مادام يحتل الأرض ويستمر في سياسة الاستيطان ويرفض عودة الشعب المشرد ويحول دون قيام دولة فلسطينية كاملة السيادة. هذه مقدمة لابد منها في جلال هذه المناسبة وعظمة هذه الثورة وفي مثل هذا الوقت بالذات حيث يخطو الرئيس بوتفليقة خطوات جادة وملموسة في طريق ترجمة تعهداته التي وعد بها الشعب الجزائري أثناء حملته الانتخابية على كرسي الرئاسة، فطي الملف الأمني وإنهاء ظاهرة العنف والحفاظ على أمن الأفراد والممتلكات أعطي الأولوية المطلقة. ومن هنا جاء تقديم المشروع التمهيدي للقانون المتعلق باستعادة الوئام الوطني والسلم المدني بعد عشرية اصطلح على تسميتها بالعشرية الحمراء. هذا المشروع بأبعاده الثلاثة: استمرار الدولة في مواجهة الإرهاب، والبعد الثاني الذي يمنح الإرهابيين ستة أشهر كمهلة لتسليم أنفسهم للسلطة، والبعد الثالث إجراءات العفو عمن ارتكب جرائم وتمكين عائلات ضحايا الإرهاب التأسيس كطرف مدني لمقاضاة الإرهابيين المتورطين في عمليات الاغتيال. إن إصرار الرئيس الجزائري على إخراج البلاد من دوامة العنف مع وعيه الكامل بأن المهمة ليست سهلة وقد تبدو مستحيلة لما أحدثه العنف من جراح عميقة وما خلفته الأزمة من تناحر بين أبناء الشعب الواحد وما قام به الإرهاب من دموية



يحتفل الشعب الجزائري هذه الأيام بالذكرى السابعة والثلاثين لعيدي الاستقلال والشباب. ففي الخامس من تموز عام ١٩٦٢ انتزعت الجزائر حريتها وسيادتها واستقلالها بعد ١٣٢ عاماً من القهر والاستبداد طيلة هذه المدة لم يتوقف الشعب الجزائري عن مقاومة الغزو والاحتلال الاستيطاني الفرنسي بكافة أشكال النضال إلى أن حقق النصر بعد ثورة مسلحة دامت سبع سنوات ونصف قدم خلالها مليوناً ونصف المليون من الشهداء على مذابح الحرية.

لم يشهد له التاريخ مثيلاً في وحشيته وشراسته دفعه بأن لايكتفي بطرح المشروع على المؤسسات الدستورية بل ذهب إلى خيار الاستفتاء الشعبي مهما كانت نتائج تصويت المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة وهي من المؤكد أن تكون لصالح المشروع وذلك كما قال: «حتى أحتكم إلى الشعب من منطلق اعتقادي الراسخ بأن الجزائر قد انتقلت من الشرعية الثورية إلى الشرعية الشعبية»، كما أضاف في كلمته أمام قادة الجيش في حفل لتسليم الأوسمة بأن المصالحة لاتشمل المجرمين وأن سيف القانون سيكون صارماً فوق رؤوس كل من تخطى حدوده وأشار بأن للمشاكل التي مرت بها البلاد أسبابها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما أشاد في كلمته بالمؤسسة العسكرية وطالب مساندتها لمسعاه واعتبر قادتها بأنهم رواد للتجربة الديمقراطية في الجزائر وخاطب الضباط الحاضرين: «لقد استهدفتم من طرف محترفي السياسة وكأنكم أعداء هذا الوطن فإن كنتم هكذا فأنا منكم ولن أتخلى عنكم وإن كنتم في خدمة البلاد فأنا منكم ولن أتخلى عنكم» كما هاجم بعض وسائل الإعلام في الخارج راداً على الانتقادات التي وجهت له باعتباره مرشح الجيش في الانتخابات الرئاسية الأخيرة وأنه يحظى بدعم قادته أوضح قائلاً: «أنا فخور بهذا السند وهذه المؤازرة بل في حاجة أكبر وتفهم أكبر ومؤازرة أكبر لإطفاء نار الفتنة» وفي كلمته بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين لعيدي الاستقلال والشباب طالب الشعب بمساندته لحل الأزمة كما أكد على أهمية محاورة الشعب وفي كل الأمور وبكل شفافية لإعادة الثقة وتجسير الهوة بين الدولة والمواطن كما أكد أن لاتنمية ولا ديمقراطية في غياب الأمن والاستقرار ووعد بدفع عجلة الاقتصاد بروح جديدة ووسائل جديدة.

إن إصرار الرئيس بوتفليقة على اللجوء إلى كل الوسائل الدستورية والقانونية واستخدام صلاحياته كرئيس لكل الجزائريين يبين مدى أهمية غلق هذا الملف وإحداث معجزة مصالحة الجزائريين مع أنفسهم واعتباره شرطاً أولياً للذهاب بعيداً في معالجة مسببات الأزمة وبالتالي استعادة الوئام المدني وتحقيق المصالحة الوطنية والتركيز بعدها على الملف الاقتصادي والاجتماعي فالنمو الاقتصادي والتنمية الشاملة والبدء بحل المشكلات المعيشية والحياتية اليومية لغالبية

لمئات الشعب الجزائري وحل مشاكل ملايين الشباب المهمش والمحروم والعاطل عن العمل شروط ضرورية لاجتثاث جذور الإرهاب وتجفيف منابعه. إن إعادة التوزيع العادل للثروة ووقف تسريح العمال وإيجاد فرص العمل لمئات الآلاف من الشباب وقبل هذا محاربة الرشوة والمحسوبية والتبذير وتساوي الجميع أمام القانون كل هذا وغيره سيسمح باستعادة الجزائري لكرامته والجزائر لمكانتها ويكون الرئيس بذلك أميناً وصادقاً في ترجمة شعار حملته الانتخابية من أجل جزائر العزة والكرامة وهذا يتطلب أيضاً من الجميع سلطة وأحزاباً سياسية مؤيدين ومعارضين وضع مصلحة الشعب الجزائري والجزائر فوق كل اعتبار بعيداً عن مزايدات البعض والشروط المسبقة للبعض الآخر وزرع القنابل الموقوتة في سكة الوئام المدني والمصالحة الوطنية فما مشروع الوئام الوطني إلا خطوة على طريق تحقيق المصالحة الوطنية فلتكن الذكرى السابعة والثلاثون للإستقلال عيداً جزائرياً متميزاً لهذا العام ليس للجزائريين وحدهم بل ولكل الذين يريدون الخير لهذا البلد العزيز وفي كلمة لابد منها وبعيداً عن التهويل يرى المراقب والمتتبع لسياسة الرئيس بوتفليقة وخطواته المتسارعة والمدروسة وفي زمن قياسي منذ أن تسلم مهامه كرئيس للجمهورية أقول: يرى أن الرئيس يمتلك الخبرة الكافية والإيمان العميق والإرادة السياسية الكبرى والصلبة واعتماد منهج عمل واضح وآليات عمل جديدة في معالجة الملفات الثقيلة دون ياس أو كلل مشاركاً الجميع في تحمل المسؤولية وإيجاد الحلول الناجعة بعيداً عن المزايدة والتشكيك وليس أدل على ذلك مجمل النشاطات التي قام بها ويقوم بها في الداخل والخارج في مدة وجيزة منذ توليه مهامه، ولكن ويالالأسف هناك من يضع العصي في الدواليب وهناك من لايريد عودة الجزائر لمكانتها وهناك من لايعجبه العجب ولكن كما يقال السماء تحتضن أحياء الطيور لا ميتها «ولايبقى في الوادي غير حجارته» كما يقول الطاهر وطار في روايته المعروفة «اللاز».

لقد بينت سنوات الأزمة في الجزائر أن البعض لايريدون الخير لهذا البلد ونظروا بكل الشماتة لما حدث وحاولوا التدخل في الشان الجزائري تارة بحجة الدفاع عن الإسلام وتارة بذريعة الدفاع عن حقوق الإنسان وأخرى عن طريق تقديم بعض المساعدات الإنسانية وكان لبعض وسائل الإعلام وبعض الفضائيات السبق في المتاجرة بالدم الجزائري من أجل حفنة من الدولارات ولغاية في نفس يعقوب وهل يكفي القول عفا الله عما سبق لنقل ذلك ولكن المهم أن نقول ونؤكد بأن الجزائر بحاجة لكل الدعم وكل التضامن العربيين تضامن حقيقي ودعم على كل الأصعدة وليست بحاجة إلى صدقة من أحد فالجزائر غنية بمواردها وغنية بشبابها وقبل هذا غنية بتاريخها وثورتها التي شرفت العرب.

إن للمساهمة الفاعلة من الجزائريين والعرب وكل المحبين للجزائر لمساعي الرئيس بوتفليقة في ترجمة برنامجه وفي المقدمة إنجاز المصالحة الوطنية وتحقيق التحول الديمقراطي بتقديم كافة أشكال الدعم المادي والمعنوي كفيل بأن يسرع في عودة الجزائر لموقعها الطبيعي ومكانتها اللائقة في الخريطة العربية والدولية وليس في هذا منة من أحد فقوة الجزائر كانت دائماً قوة للعرب وضعفها ضعف لهم.

أما عن الفلسطينيين والتميز هنا متعمد فكما جاء في برقية تهنئة الدكتور جورج حبش للرئيس عبد العزيز بوتفليقة «إن للجزائر مكانة خاصة في قلب كل مواطن فلسطيني فهي بلد التضحيات الكبيرة من أجل الحرية والاستقلال وهي بالنسبة لشعبنا النموذج الكفاحي لدعم نضالنا لإسترداد حقوقنا وتحرير بلادنا وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس...».

وأخيراً وليس خروجاً عن الموضوع وأمام المخاطر الجسام والتحديات الكبيرة التي تواجهها دول القارة الأفريقية على الدول العربية والأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية العمل على إنجاح القمة الخامسة والثلاثين المنعقدة في الجزائر هذه الأيام ما بين الثاني عشر والرابع عشر من تموز، نفس المخاطر والتحديات والتي تفرض على القادة العرب ونحن نتحدث عن المصالحة واجب الاسراع بعقد قمة عربية أصبح عقدها أكثر من ضرورة قمة تنهي الخلافات العربية بإنجاز مصالحة عربية شاملة ممهدة لعودة تضامن عربي فاعل. إن التجربة قد أثبتت أن المشكلات الداخلية لكل بلد عربي أسهل على الحل وأنجح في غياب الخلافات العربية العربية وفي ظل وحدة الموقف العربي والتضامن العربي الفاعل في مواجهة المشاكل والمؤامرات سواء الداخلية منها أو الخارجية ■■

تصريح صحفي

تعقيباً على دعوة انعقاد مؤتمر مجموعة كوبنهاجن للتطبيع مع إسرائيل أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتصريح قال فيه:

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدين انعقاد هذا المؤتمر في العاصمة المصرية، وتحيي القوى الوطنية والفعاليات الإجتماعية والمثقفين الوطنيين في مصر الذين أعلنوا رفضهم القاطع لهذا المؤتمر وإصرارهم على عقد مؤتمرات مناهضة سترفع الأعلام حداداً على شهداء الأمة العربية الذين ضحوا بأرواحهم في مواجهة الأطماع الصهيونية في المنطقة.

إن نشاط مجموعة كوبنهاجن يطل برأسه من جديد بعد مجيء حكومة باراك لاختراق المجال الشعبي العربي الرافض للتطبيع والذي بقي عصياً على الإختراق كون السلام الشامل والحقيقي لايتحدد ببرامج الحكومات الإسرائيلية، بل بالإعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني واستعادة كامل الحقوق العربية.

إن ما يسمى بمؤتمر التحالف الدولي للسلام العربي ـ الإسرائيلي والذي يتم بتغطية من السلطة الفلسطينية يأتي ليقدم دعماً مجانياً لإسرائيل في الوقت الذي تمارس فيه سياسة القتل والإرهاب المنظم ضد الشعب اللبناني وتتنكر للحقوق الوطنية لشعب فلسطين.

إن الجبهة الشعبية تحيي مواقف القوى الوطنية والمثقفين والفنانين المصريين الذين يواجهون دعاة التطبيع والإستسلام للعدو الصهيوني.

المكتب الصحفي ١٩٩٩/٧/٦

خانيونس: ندوة حول الوضع السياسي وأثره على الإقتصاد الوطني

نظمت مفوضية التوجيه الوطني ومجلس اتحاد الطلبة في كلية العلوم والتكنولوجيا في خانيونس ندوة موسعة حول «الوضع السياسي وأثره على الوضع الإقتصادي» بمشاركة العميد مازن عز الدين المفوض العام للتوجيه الوطني وفريد قبلان مدير الإستثمار في وزارة الاقتصاد والتجارة وعميد الكلية د. أحمد أبو شنب. وأوضح ياسر فارس رئيس مجلس اتحاد طلبة الكلية، إن المجلس قرر تنظيم سلسلة من الندوات لمحاضرات لعدد من المسؤولين لاطلاع الطلاب على كافة المستجدات على الساحة الفلسطينية. وأكد عز الدين أن تنفيذ اتفاقيات المرحلة الإنتقالية والدخول في مفاوضات المرحلة النهائية سيساهم في تعزيز وتطوير الإقتصاد الوطني الفلسطيني ومنحه الإستقلالية وعدم التبعية للاقتصاد الإسرائيلي. وقال إن الإقتصاد الفلسطيني بدأ يشق طريقه نحو التطور والإستقلالية وخاصة بعدافتتاح المطار والمطاحن، داعياً كافة أصحاب رؤوس الأموال الفلسطينيين والعرب للاستثمار داخل الأراضي الفلسطينية والمساهمة في النهوض بالإقتصاد الفلسطيني وإزالة كافة العراقيل والعقبات التي تعترض تقدمه.

«مجموعة كوبنهاغن» تعقد مؤتمراً للتطبيع مع إسرائيل في القاهرة:

المهرولون.. لايحصدون سوى الخيبة والفشل

عصام حامد

مرة أخرى.. تنبري «مجموعة كوبنهاغن» بالدعوة للتطبيع مع العدو الصهيوني، وذلك بمساعدة ما يسمى بـ «جمعية القاهرة للسلام» التي رعت ونظمت مؤتمر التطبيع، مستغلة هذه المرة نجاح أيهود باراك في الإنتخابات الإسرائيلية الأخيرة، وقامت بعقد مؤتمرها التطبيعي هذا في الخامس من تموز الجاري في القاهرة، مستعجلة بذلك خطوات التطبيع لمجرد وعود براقة من باراك بالسير في عملية السلام المتوقفة منذ مدة، حتى قبل أن يقدم برنامج حكومته الجديدة، وبالرغم من معرفتهم الأكيدة بلاءات باراك المعروفة والمنافية للحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، وقد تمّ ذلك بتغطية من السلطة الفلسطينية في الوقت الذي يمارس فيه الكيان الصهيوني الإعتداء والتدمير والقتل ضد الشعب اللبناني الشقيق.

ومع ذلك، فإن هذه المحاولة التطبيعية الجديدة، قد باءت بالفشل الذريع، رغم كل التحضيرات والجهود الكبيرة التي بذلت بهذا الخصوص، وقد تمّ ذلك بفضل جهود القوى الوطنية المصرية المعارضة للتطبيع، بكافة تياراتها وأحزابها السياسية وصحفها الوطنية وكل النقابات المهنية والعمالية تقريباً، الذين أعلنوا رفضهم الصريح وإدانتهم للمؤتمر ودعوا لمقاطعته، وواصلت الصحف المصرية المعارضة والمستقلة هجومها العنيف على مؤتمر «جماعة كوبنهاغن» للتطبيع حيث وصفت صحيفة «الأسبوع» المؤتمر: بأنه «مؤتمر للعار» و«يوم أسود في تاريخ مصر».. كما طالبت صحيفة «العربي» التابعة للحزب الناصري بـ «إلغاء المؤتمر المشبوه»، وقد هاجمت صحيفة «الأحرار» لسان حال حزب الأحرار، المؤتمر بشدة، كما أصدر حزب «التجمع» اليساري بياناً حمل فيه بشدّة على «جماعة كوبنهاغن» ودعا إلى إدانتها، وفي نفس الوقت.. سادت في الأوساط السياسية والثقافية والنقابية المصرية أجواء الإستياء العام من مؤتمر التطبيع الذي عقد في القاهرة، وقامت بتنظيم مؤتمرين موازيين لرفض التطبيع في العاصمة المصرية، ورفعت أعلاماً سوداء.

هذا السخط الشعبي المصري على مؤتمر التطبيع ورفض معظم الأحزاب السياسية والقوى الوطنية المصرية له، ادى في نهاية المطاف لرفع الغطاء الرسمي المصري عن المؤتمر والتنصل منه، فقد تبرأ وزير الخارجية المصري عمرو موسى من مؤتمر التطبيع حيث قال: «بأن المؤتمر هو لمنظمات غير حكومية ولا علاقة لوزارة الخارجية به» وفي نفس الوقت.. ندد ممثلون عن العديد من الفعاليات الشعبية والنقابية والسياسية الأردنية المناهضة للتطبيع مع إسرائيل بمؤتمر التطبيع الذي عقد في القاهرة، وأدانوا في بيان لهم «مواصلة قوى الإستسلام والهزيمة نشاطاتها التطبيعية مع العدو الصهيوني».

وفي نفس السياق.. أدانت القوى الوطنية الفلسطينية المعارضة للتطبيع جماعة «كوبنهاغن» وهاجمتهم بشدة. وقد شارك في مؤتمر التطبيع ٢٥٠ شخصاً من مصر والكيان الصهيوني والأردن والسلطة الفلسطينية. ونشير هنا إلى أن «جماعة كوبنهاغن» كانت قد تأسست في نهاية عام ٩٧م في العاصمة الدانماركية من مجموعة مثقفين ورجال الأعمال الإسرائيليين والعرب، وضمت أيضاً شخصيات دولية وأوروبية وأمريكية حيث وقّعوا بياناً أعلنوا فيه إنشاء: «تحالف دولي إسرائيلي - عربي من أجل السلام»، ويضم هذا التحالف «جمعية القاهرة للسلام» التي تأسست في ٩٨/٣/٢١م، منبثقة عن (الحركة المصرية للسلام) التي أسسها الموقعون على «إعلان كوبنهاغن».

إن ما تمّ من نشاطات دعاة التطبيع سواء في كوبنهاغن أو في القاهرة مؤخراً هو عبارة عن حلقات في سلسلة طويلة، بدأت بعد مؤتمر مدريد للسلام واتفاقات أوسلو ووادي عربة والقمم الإقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولتلتقي جميعاً مع جهود الولايات المتحدة الأمريكية لكسر الاجماع الشعبي العربي على رفض المشروع الصهيوني باعتباره أمراً واقعاً يجب التسليم به والتعاطي معه.

وقد كانت الحجة المكرورة لـ «جماعة كوبنهاغن» أنهم يريدون أن يبرهنوا للمصريين والعرب: «أن إسرائيل ليست كتلة واحدة صماء.. ولكنها آراء واتجاهات مختلفة.. ومن هنا علينا أن نشارك في حوار واسع مع قوى السلام الكبرى في إسرائيل.. لدعم ومؤازرة الشارع الإسرائيلي للتخلص من سياسات المتعصبين الإسرائيليين»؟!

هذا ما يدّعونه.. وهو في حقيقة الأمر كلام حق يراد به باطل!! فأما بالنسبة لإختلاف الآراء والإتجاهات، فهذه مسألة معروفة ولايختلف اثنان عليها، لكن الذي بحاجة إلى التوضيح فهو ما يتعلق بقوى «السلام» في إسرائيل من حيث حجمها ومدى تأثيرها في المجتمع الصهيوني، فمعسكر السلام المزعوم في إسرائيل لايزال ضئيلاً ومحدود التأثير حتى الآن، بينما الإتجاه العام في إسرائيل هو الإتجاه الشوفيني العنصري المتطرف والمعادي للسلام مع العرب (حسب استطلاعات الرأي الإسرائيلية نفسها)، كما أن الإنتقال من حالة الحرب إلى حالة السلام، ليس مرهوناً بحسن نوايانا فقط، بل هو مرهون بممارسات وسلوك الطرف الآخر، فممارساتهم على أرض الواقع تقول عكس ذلك تماماً.. كما إن الموروث الثقافي اليهودي الذي يحمل العداء الشديد للإنسان العربي أساساً ليس من السهولة بمكان أن يتغير ويتحول إلى حالة «حبّ وسلام» لمجرد أننا نرغب في ذلك؟!

فهذا الأمر يحتاج إلى حدوث تغييرات كبيرة وعميقة في بنية المجتمع الصهيوني نفسه أساساً حتى يتحقق ذلك السلام المرجو. وهذا الأمر غير متوفر حتى الآن.. فلماذا نوهم أنفسنا بسلام الوهم المزعوم؟!

وبنظرة سريعة على أهم ما جاء في البيان الختامي لمؤتمر التطبيع المشبوه، وخاصة بالنسبة للقضايا الجوهرية يتضح بشكل جلي أنه يتبنى بصفة عامة الموقف الإسرائيلي من القضايا الحساسة فبالنسبة لموضوع اللاجئين: لم يأت البيان على أي ذكر لموضوع اللاجئين، وتجاهل قضية اللاجئين تجاهلاً تاماً، كما وأسقط بالتالي حق العودة، وهذا الأمر أيضاً مخالف لقرارات الأمم المتحدة والتي تنص على حق العودة للاجئين الفلسطينيين والمنصوص عليها في القرار (١٩٤).

وبالنسبة للمستوطنات: تبنى البيان الموقف الإسرائيلي من موضوع المستوطنات.. بالكامل باعتبارها أمراً واقعاً؟!، وبعد أن تجاهل البيان كل هذه القضايا الهامة أقر البيان بموضوع الدولة الفلسطينية للشعب الفلسطيني.. لكن السؤال الذي يتبادر للذهن، كيف ستكون هذه الدولة العتيدة؟! في ظل وجود المستوطنات وعدم حل قضية اللاجئين وإلغاء حق العودة الخ..

بالتأكيد لن تكون سوى «دولة» مقطعة الأوصال وبدون سيادة.. أي أقرب ما تكون لدولة كرتونية هزيلة وتابعة. فهل هذا هو نهاية الحلم الفلسطيني.. حسب ما يريده لنا دعاة التطبيع؟! ■■

قضايا ثقافية

إيران وانحسار الأمل!

إيران ليست بعيدةً عنا، وما جرى ويجري في إيران سيكون له انعكاساته الكبيرة على المنطقة سلباً أو إيجاباً، وإذا كان الحدث الثوري الإيراني قد زلزل المنطقة قبل عشرين عاماً، وفتح الأفق أمام إصلاح ديني منتظر، فإن الحدث الطلابي الحالي الذي يطمح إلى الإصلاح الديمقراطي والتعددية، والحداثة، ستكون مفاعيله أبعد غوراً، وأكثر تأثيراً مما نظن، ليس داخل إيران فقط، بل في كامل محيط هذه المنطقة الغارقة في أزماتها وتناقضاتها، والباحثة عن خياراتها، ونحن على أبواب الألفية الثالثة.

حينما انتخب خاتمي من قبل الأكثرية الساحقة، ووصل إلى قمة الرئاسة، على رأس التيار الإصلاحي، شخصت الأنظار نحوه آملة أن يكون هذا الخيار الشعبي الواسع نقطة تحوّل سلمي في تعميق الديمقراطية والإنفتاح، والحداثة مع الحفاظ على الأصالة، وخصوصية الهوية، ضمن معادلة معقدة وفي غاية الشفافية في الآن ذاته، ثم تبيّن أن عملية التحوّل هذه، والتي هي خيار الأكثرية لن تجري بسهولة، لأن التيار المحافظ، الذي يمتلك القوة والسلطة في مفاصل هامة في بنية النظام لن يتنازل عن أسلحته ببساطة، بل على العكس راح يشحذ أسلحته، لتصل الأمور إلى مرحلة الصراع المفتوح الأخير بين الأكثرية الضعيفة التي ترغب في الإصلاح، وتدعم الرئيس خاتمي، وبين الأقلية القوية التي تسيطر على الميليشيات الدينية، والأجهزة، ومرجعيتها (المرشد) وحده الذي يمتلك سلطة القرار ـ الفصل.

اللافت في الحدث الأخير هو انتقادات المرشد للقمع الوحشي الذي تعرّض له الطلاب في الحرم الجامعي، وفي المقابل انتقاد خاتمي للحركة الطلابية، مما فُسِّر على أنه حركة تراجع منه. لكن لا انتقادات المرشد للأجهزة، ولا مطالبة خاتمي الطلاب بوضع حدٍّ لتحركهم والمحافظة على الهدوء، قد أوقف هذه الحركة المعارضة التي وجدت أصداءً عميقة لها بين مختلف قطاعات الشعب الإيراني، بيد أن المؤكد أن هامش الإصلاح في إيران، وأن تراخي النظام في البحث عن قتلة الكتّاب الإيرانيين (التي كانت السبب المباشر في إشعال الحدث) ستكون أكثر تراخياً، وبالتالي فقد وجد خاتمي نفسه محاصراً في مربّع ضيق الهامش، والمؤشر على ذلك حملة الاعتقالات الواسعة التي يتعرّض لها الطلاب حالياً، دون أن يكون قادراً على تحريك ساكن.

إذا كان من السابق لأوانه أن نقول: من هو المنتصر، فإنه من المؤكد أن مساحة الحرية النسبية التي سمحت للحركة الطلابية أن تعبّر عن طموحات الأكثرية، سوف تنحسر وتضيق كثيراً، إن لم تُخنقْ في المهد.

أن يسحب خاتمي كلمته، لهو أمرٌ بالغ الدلالة، فهذا يعني أنه مغلوب على أمره وإن الكلمة الفصل ليست له، ولا للأكثرية التي انتخبته، وإنما لمن يمتلك القوة.. للحوزة.. والميليشيا الدينية.. والأجهزة، لا للمؤسسات، أو الإنتخابات وهذا هو المحزن في نهاية المطاف، لأنه يؤكد القاعدة الشائعة، ويسقط الأمل في انحسارها!

الهدف الثقافي

حلقة (١)

إميل حبيبي: محاكاة الآخر وحدود الموروث

د. فيصل دراج

يمثل إميل حبيبي، ربما، حالة خاصة في الكتابة الروائية، فهو لم يقصد كتابة الرواية، ولا كان عارفاً بالكثير من أساليبها، بل وصل إليها عفو الخاطر. أخذ ما كتب صفة الرواية، في مصادفة سعيدة، لاتعود إلى «إلهامه» الكبير، بل إلى مرونة الجنس الروائي، الذي يضيق بالصيغ النهائية. تكمن أصالة إميل حبيبي، ربما، في المنهج الذي أخذ به، لا فيما أوصله المنهج إليه، الذي أتاح له، مرة أن يكتب عملاً كبيراً عنوانه: «المتشائل» قبل أن يمكر به ويشذه إلى نصوص هجينة، في مرات لاحقة. وما أصالته هذه إلا وصوله إلى الرواية شارداً، دون تخطيط أو قواعد مسبقة، مستلهماً تراثاً أدبياً عربياً في سياق مهدد، يعبث بالتراث ويقوّض صاحبه.

تتعين مساهمة إميل حبيبي الأدبية في فضاء محدد عنوانه: ترهين الموروث في سياق يهدد الوارث والموروث. والراحل البريء، الذي عبث بذاته أكثر مما عبث الزمن به، كان مليئاً بثقافة عربية تقليدية عنوانها الأدبي هو: الحكاية. والراحل الذي بددته السياسة الهوجاء، وأحب فلسطين إلى حدود الكلف، عاش موروثه في سياق يجعل الحاضر مرجعاً للأزمنة. وجاءت الحكاية إلى هذا السياق لتتخلص من حمولة سعيدة قديمة وتأخذ بحمولة جديدة لا أفراح فيها، كما لو كان الزمن الفلسطيني يستقبل الحكايات القديمة ويطرد فرحاً لم يعد له مواقع كثيرة، وبسبب المسافة بين الحكاية وقولها، تبتعد الحكاية عن زمنها الأول وتذهب إلى زمن آخر. فالواقع الذي ترجع إليه الأمور جميعاً، لايستبقي الحكاية إلا إذا أدرجها في علاقات جديدة.

وإذا كان الموروث الأدبي الذي استلهمه الأديب الفلسطيني الراحل يرى في الحكاية مدخلاً له، فإن السياق الذي يستدعي الموروث ويمطره بالأسئلة يتعرف بصفة قاهرة هي: الإحتلال الإسرائيلي. عاش إميل تجربة الوطن المصادر في مفارقة مؤسية قاهرة، إذ الإنسان غريب عن وطنه، إن لم يكن غدا ملكية خاصة للإسرائيلي الذي صادر الوطن، والظلال ولسان الأجداد. في هذه المأساة التي لاتعرفها الشعوب كثيراً، تتحول الحكاية الموروثة إلى ضرورة، وتتبدل الحكاية الضرورية إلى: هوية. كأن الحكاية تحاور زمن الحاضر، الذي لايُركن إليه، بكلمات زمن قديم مختلف، كان إنسانه يركن إلى زمنه، وكان زمنه يرى في إنسانه جسراً إلى الشمس.

مع ذلك فإن الأديب الفلسطيني، الذي رأى في الحكاية البليغة هوية وطنية، لايلتقي بباب سعيد، إلا ليسلّمه إلى باب آخر سيء الضيافة. بمعنى آخر: إن كان المنظور الروائي قادراً على إدراج الموروث في البنية الروائية، في عملية تحويلية تغير دلالته، فإن المنظور التراثي إلى الرواية، يعيد كتابة ذاته ويخطئ الطريق إلى الرواية، فللرواية زمنها التاريخي الخاص بها، وللتراث لحظته التاريخية، التي لاتجُبّ الأزمنة الأخرى، إلا إذا رأى التراث في ذاته علماً للعلوم، وهو كلام لايحمل الكثير من المعنى. ولذلك أعطى إميل حبيبي روايته: «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبو النحس المتشائل» حين تعامل مع التراث الأدبي بمنظور حكائي تاريخي، رغم التباس العبارة، وبقي يطرق أبواب الرواية ولايصلها، حين توهّم أن تراصف الحكايات المكتفية بذاتها يعطي عملاً روائياً. وهذا ما جعل من أعماله اللاحقة، وبأشكال متفاوتة، نصوصاً انتقالية، أو نصوصاً هجينة، تتعامل مع سارد، له تعامله اللغوي المغاير لغيره، وتجهل الفعل الروائي الذي يوزع اللغة على مستويات متعددة. كأن المتحدث، الذي احتكر إمكانيات اللغة وزهد بمن يقوم خارجه، كان يعيد كتابة الحكايات السابقة بلغته المفردة، معتقداً ان إضافة النثر على أطروحتين متجاورتين قوامهما الترهين والتسليف، أي تحويل الحكاية بمنظور روائي، ومصادرة الرواية بمنظور حكائي. والمنظور الأول يرهن الحكاية وهو يكتبها، مفككاً الحكاية في علاقات الرواية، والمنظور الثاني يسلّف الرواية، وهو يظن أنه يكتبها، مبدداً علاقاتها في أرض كتابية سلفية، هي أرض الحكاية، يكشف المنظور الأول عن لقاء الوعي الأدبي والتاريخي، ويظهر الثاني عقم التراث إذا اكتفى بذاته. فالتراث كالنص، سرّه خارجه، أي في الوعي الذي يتعامل معه لا أكثر.

«المتشائل»: ترهين الموروث في الوعي الروائي:

في الصفحة الثانية من روايته «المتشائل» يُدرج إميل حبيبي في سطوره أشياء كثيرة: السلطان قطز الذي أهوى بيبرس على عنقه بسيفه ولم يخرج من فيه سوى حشرجة تركية، وأبو زيد الهلالي الموزع اسمه على قامات من غبار، وتينة قمراء يجاورها القمر في قرية ثكلى، ومثل يحض على التعقل والأناة ويقول: «كل شيء في وقته يعسل». تحتقب اللغة الصقيلة، وقد مرّت على مثل عربي قديم، القمر المنير والتينة القمراء وهوامش عن وقعة عين جالوت، قرب الناصرة، التي أوقفت زحف هولاكو التتري. واللغة، فما تفعل تخبر عن كاتب أخذ بناصية اللغة وانصاعت له، وتعلن أن الكتاب الذي اطمأن إلى عربية نضرة واطمأنت إليه، عارف بتاريخه العربي ومتمكن منه. ولن تكون الصفحة الثانية في الرواية استثناءً يتيماً، فهي متوالدة ومتجددة في صفحات لاحقة. ولذلك يكون عادياً أن يشير حبيبي إلى احتلال الصليبيين لعكا في تواريخه الدقيقة، وأن يضيء اسم القدس بوقائع لاينقصها الوضوح، وأن يذكر، وليس في معرض التفاصح المتعالم، أسماء أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني وابن رشد والتباني الحراني وابن الحسن بن الهيثم، وصولاً إلى ابن عربي والجاحظ والرحالة ابن جبير.

تستبين ثقافة اميل حبيبي التراثية في مستويين: أولهما واضح في إحالات متواترة إلى المعرّي وعلي بن أبي طالب وأبو الطيب المتنبي وحكايات ألف ليلة وليلة والمسعودي والحلاج والقرآن الكريم وعبد الله بن المقفع.. وفي إحالات أخرى، لها شكل هوامش، تشرح الوقائع التاريخية العربية في تواريخها ومراجعها التاريخية. ويعطي عمله الأخير «سرايا بنت الغول» صورة عن أديب مأخوذ بتاريخه العربي وعاشق له. ويظهر المستوى الثاني، وهو أكثر عمقاً ووضوحاً، في أسلوب عربي مشرق ينتسب، سعيداً إلى المعري وابن عربي وأحمد فارس الشدياق. ولعل الانشداد إلى اللغة، وهو فتنة مباركة دفع بإميل إلى رحلة متواترة في كتب التاريخ العربي، حتى غدت لغته ترهيناً لبلاغة سبقت وحواراً، في زمن آخر، مع بيان ابتعد زمنه.

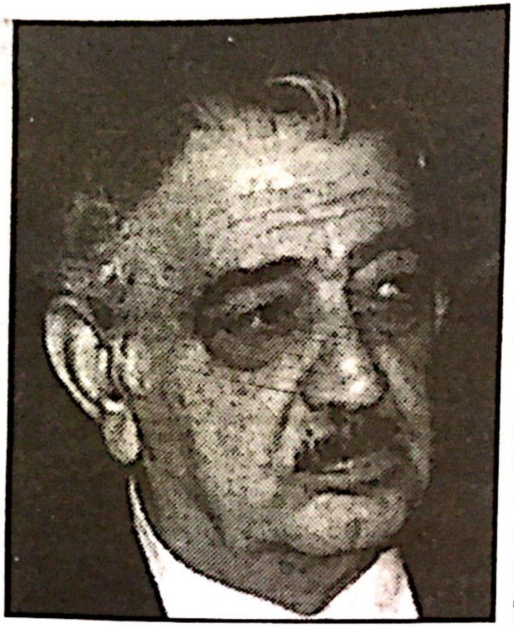
ارتكن حبيبي إلى الموروث الأدبي الذي تشبّع به، وجعل من الحكاية وحدة أدبية متوالدة، أنتجت في توالدها، المختار والمصطفى، «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبو النحس المتشائل». تستظهر الحكاية، وعددها خمس وأربعون، في مستوى منها، في عناوين قدرها خمسة وأربعون أيضاً. وتستبين في مستوى آخر، في إحالتها إلى شخصية محددة الاسم، تخبر عن أحوالها وتنبئ عن مسارها، نقرأ، في المستوى الأول، العناوين

التالية: «كيف شارك سعيد في حرب الإستقلال، لأول مرة. كيف لم يمت سعيد شهيداً في واد على الحدود اللبنانية. كيف أنقذ الفجر الصادق سعيداً من الضياع في دياميس عكا؟ كيف أصبح سعيد زعيم عمال في اتحاد عمال فلسطين؟ كيف لم يعد سعيد تيساً؟. كيف اضطر سعيد إلى الإمساك عن الكتابة لأسباب أمنية؟، كيف تحوّل سعيد إلى هرة تموء؟ كيف سبقت العروبة الأصلية، بالتشمير/عصر التشمير. كيف كانت التماسيح تعيش في نهر الزرقاء؟ كيف أصبح سعيد «ذا السريرين»[1].

تنطوي صيغة «كيف» على مستمع مضمر، يتوجّه إليه الحكّاء، ليقص عليه حكايات متفرقة تضيء مساحات مختلفة من حياة إنسان معين، ترسم كل حكاية واقعة معينة، تفضي إلى حكاية لاحقة، إن انتهت من سرد الواقع وشرحت خفاياها، كأن الحكاء يوزع حكاياته على أمسيات متعاقبة، يسرد في كل أمسية حكاية، قبل أن يعد المستمع بحكاية جديدة في أمسية لاحقة. يبدأ إميل كتابه «أخطية» بالسطور التالية: «كان والدي، الذي لم يحمل معه من القرية إلى المدينة من متاع الدنيا سوى عصا يتوكأ عليها، وأخوتي الكبار يتوكأ عليهم، ووالدتنا، وهي حامل بي، يتوكأ عليها، وحكايات السامر، وهو أول من ألقى علينا لغز الأمير الفاضل الذي لم يهتد إلى حله سوى ابن الوزير الأصغر»[2]. يضع إميل «حكايات السامر» في إرث عائلته الحميم، إذ الليالي تستدعي الحكايات وإذ الحكايات تمسح الكدر عن وجه الليلة الطويلة. وسيظل اللغز، وهو حكاية مضاعفة التشويق، ملازماً لحبيبي كل حياته، يبدأ به كتابه «أخطية» ويجعل منه قوام كتابه الأخير «سرايا بنت الغول»، بعد أن بدأ به في روايته «المتشائل».

وإذا كانت «كيف» وهي سؤال يعقبه جواب، تشدّ القارئ سريعاً إلى أرض الحكاية وهي تروي له وقائع «سعيد» فإن حكايات أخرى، وهي تشكل المستوى الثاني، تملأ الثغرات وترمم الوجوه الناقصة. نقرأ من بين العناوين المتلاحقة، وهي تقنية أدبية قديمة على أية حال، العناوين التالية: «سعيد يدّعي إلقاء مخلوقات من الفضاء السحيق، سعيد يعلن بأن حياته في إسرائيل كانت فضلة حمار، سعيد ينتسب، سعيد يدخل إسرائيل لأول مرة، بحث في أصل المتشائل، وورود ذكر يعاد لأول مرة، جلسة ليلية عجيبة في فناء جامع الجزار، سعيد يفشي بسر عجيب من أسرار العائلة، سعيد يلتجئ لأول مرة إلى الحواشي، الدرس الأول في اللغة العبرية، الجرح المفتوح..» تتضافر الحكايات في المستويين، وتنسج حياة سعيد، مع فرق بسيط، هو أن الحكايات، في المستوى الأول، تخبر عن الوقائع الخارجية، أو عمّا اصطدم به سعيد وهو يسعى إلى البقاء في وطنه، في حين أن الحكايات، في المستوى الثاني، تردّ إلى ما أراد سعيد أن يقوله عن نفسه. تذهب الحكايات، في لحظة أولى، إلى الوقائع الخارجية، وتتوزع في لحظة تالية، على الاعترافات التي يذيع فيها سعيد أسراره الخاصة وأسرار العائلة التي ينتسب إليها. وتصدر عن المستويين معاً شخصية سعيد، المتعالق زمنها مع الزمن الصهيوني، في مستوى معين، والحاملة لزمنها الخاص المرتد بعيداً إلى الوراء في مستوى آخر.

إن كانت الحكاية تشكّل نواة الكتابة عند إميل حبيبي، فإن تأمل تراصف الحكايات يشي بشيء آخر، تأتي الحكاية هيّنة ويسيرة وهي تقلّب وجوه حياة ضحية لايفارقها الجلاد، وتأتي الحكاية ناقصة وهي ترسم المجال القاتم الذي يتحرك فيه الجلاد والضحية معاً. ولذلك لن تكون الحكاية، في بعض أحوالها، إلا الوجه الآخر لتقرير صحفي يصف، ساخراً، مأساة الفلسطيني «المتسلّل» إلى أرضه ومآسي القرى المهجورة في صمتها الحزين وبهائمها السائبة. يذهب الحكّاء الأديب إلى خبرته الصحفية المديدة ويضيف إلى الحكايات مالاتستطيع أن تقول به، موزعاً ما شاء على



حكاية ليست هي بالحكاية، وعلى مقالة صحفية تشبه الحكاية وما هي بالحكاية. كما لو كان «التقرير الصحفي» مادة ضرورية تكسو «النواة» وتعطيها القوام. فحين يقول الراوي: «كيف لم يمت سعيد شهيداً في وادٍ على الحدود اللبنانية»، فإنه يعطي القارئ حكاية مكتفية بذاتها تخبره بالطريقة التي ذهب بها سعيد إلى بيروت، وبالطريقة التي عاد بها إلى «دولة إسرائيل». لكنه حين ينتقل من وصفه الذاتي إلى شرط قوامه جلاّد نموذجي وضحية نموذجية بدورها، يكون عليه أن يكسر الحكاية وأن ينفتح على حياة تضيق بها الحكايات. في جزء عنوانه: «جلسة ليلية في فناء جامع الجزار»، يروي سعيد، وفي صفحات قليلة، أوجاعاً متكاثرة ولا نهاية لها عن نساء أُخرجن من قراهن وتكدّسن في جامع، حيث كل امرأة حكاية، وكل حكاية تتكاثر في حكايات، كما لو كان الوجع الإنساني كله قد تجسد في فلسطينيات تنتظرهن سيارات إسرائيلية تفصل في الصباح فصلاً باتراً بين ماضٍ دافئ ومستقبل مجهول، لايعد إلا بالمذلة والدموع.

تصدر «المتشائل» عن علاقات الحوار بين الحكاية والمقالة، إذ الحكاية تبدأ من الفرد وتكفيه، وإذ المقالة تكسر القول المفرد وتنفتح على المجموع. ولهذا فإن مفردة التراصف، في علاقتها بالحكاية أو بالمقالة، لا وجود لها، لأن الحكايات يضيء بعضها بعضاً، في إيقاع متصاعد هو إيقاع الشخصية الحكائية في نموّها وتطورها، مثلما أن المقالات المتناوبة تنصاع إلى الضرورة الحكائية التي فرضتها، مضيئة زمن الضحية والجلاّد، ومضيئة أكثر علاقة الضحية المفردة بغيرها من الضحايا. وعن هذه العلاقات المتحاورة تنشأ بنية روائية، وجوهها سيرة ذاتية لإنسان محدّد الوجه والاسم والملامح وملتبس المصير. فعلى خلاف الحكاية، بصيغة الجمع كانت أم بصيغة مفردة، التي تصف أقدار إنسان مجرد في أنساق محدودة العدد ومعروفة الإحتمالات، فإن الرواية ترصد آثاراً شخصية إنسانية في سياق يملي عليها بدايات الدروب التي تسلكها، ويكتب لها المصير الذي ينتظرها، سواء بلغت نهاية الطريق أم تاهت في بدايته. كل شيء شفاف وواضح المعالم في حقل الحكاية، بعد أن محت التاريخ وامّحت فيه، وكل شيء ملتبس وغائم التخوم في الرواية، بعد أن أسلمت يدها إلى التاريخ الذي يقول ما تشاء ويزهد بحكمة الراوي.

«المتشائل»: تحويل الحكاية والوعي التاريخي

تردّ رواية «المتشائل» إلى حكايات متلاحقة. فكل حكاية تكمل حكاية سبقتها وتفتح باباً لوصول حكاية جديدة. وللحكاية زمنها التاريخي الذي لاتعترف به، لأنه زمن يقوم خارجها ولايتسرب إليها إلا لماماً وفي صدف عابرة. بمعنى آخر: إن كانت الحكاية تطرد التاريخ وهي ترى الإنسان المجرد في ثنائيات أخلاقية متوالدة، فإن التاريخ لايبتعد عنها وهو يظهر أن وعيها الأخلاقي ـ الديني مرتبط بطور معين من أطوار التاريخ. فالحكاية تقليدياً، حديث عن «عيد ينتظر من اقترف إثماً ووقع في الخطيئة، أو عن وعد يذهب إلى من زامل الخير ودافع عنه»[3]. ولعل ثنائية الوعيد والخطيئة، كما ثنائية الوعد والفضيلة، هي التي تستجلب ثنائيات أخرى قوامها الخير والشر والانتصار والهزيمة، الثواب والعقاب.. ثنائيات مهمل ترامت ترتاح إلى الصدفة والعجيب المنتظر، بعيداً عن التاريخ وسببيته، التي تشرح الرغبة والانتصار المستحيل، وتضيء وجه الشر القادر على الانتصار في أكثر من مكان.

يتكشّف الوعي التاريخي، الذي يستدعي الحكاية ويقوم بتحويلها، في مستويين أساسيين، يحيلان علىوعي روائي ويُقرأ الوعي الروائي فيهما. يتعيّن المستوى الأول بعنصر السيرة الذاتية، المعبر عن فردية واضحة

ولاخفاء فيها. فلا موقع لبطل لا اسم له، والاسم غائم في زمانه ومكانه، بل الموقع كله لفلسطيني مستباح، يطارده في وطنه المصادر عدو محدد الاسم والمكان والزمان أيضاً. والسيرة الذاتية تعبير عن وعي جديد بالعالم، ينتقل من العام إلى الخاص، ومن المتجانس إلى المختلف، ومن الكل إلى الواحد، ومن لغة لاشخصية لها إلى لغة شخصية هاجسة بالتفريد. ولذلك تبدأ «المتشائل» بالسطور التالية: «كتب إلي سعيد أبو النحس المتشائل، قال: أبلغ عني أعجب ما وقع لإنسان منذ عصا موسى وقيامة عيسى وانتخاب زوج الليدي بيرد رئيساً على الولايات المتحدة الأمريكية»[4]. وسواء أشار الراوي إلى رئيس الولايات المتحدة أم لم يشر إليه، فإن وعيه التاريخي قائم في تعيين شخصية مفردة لها لغة خاصة بها، تغاير اللغات الأخرى وتختلف عنها. بهذا المعنى فإن التفريد، بالمعنى الروائي، يصدر عن حقل لغوي قوامه الاختلاف والمغايرة، على مبعدة عن حقل حكائي يأخذ بلغة شفافة يتساوى فيها البشر جميعاً، ويساوي فيها ظاهر الأشياء جوهرها أيضاً.

يقوم المستوى الثاني، الذي يفصح عن الوعي التاريخي، في الشكل الأدبي الذي اختاره حبيبي لإذاعة المأساة الفلسطينية، وهو: الشكل الساخر. ينطوي الشكل المختار على وعي مزدوج: فهو مدرك لشرط مأساوي «يتسلل» فيه صاحب الأرض إلى أرضه، وهو مدرك أكثر لدلالة الشكل الأدبي الذي يندّد بالمأساة، قبل أن ينطق بها، تتراجع ظلال الحكاية وتنحسر مساحة «حكايات السامر»، ويأخذ مكانهما وعي أدبي حداثي، يعرف أن الشكل الساخر في ذاته تنديد واحتجاج، وأن الشكل المقترح يفكك الحكايات القديمة تفكيكاً يرمي بأزمنتها القديمة حيثما شاء وارتضى. يقول «المتشائل»: وأتتني حكاية الساحر الهندي الذي ينصب الحبل فيظل يرتفع في السماء حتى يغيب رأسه في الغيم فيصعد عليه حتى يغيب ثم يعود ويهبط عليه فلا يتأذى فيسترزق. ولكنني قلت: ما أنا بساحر هندي بل مجرد عربي بقي، سحراً في إسرائيل»[5]. والبقاء، سحراً، هو البقاء بمعجزة، وهو البحث عن معجزة أخرى تصون البقاء الغريب، وفي المعجزة المرغوبة ما يوقظ ضحكاً مر المذاق، ذلك أن غايتها إبقاء انسان في أرض كانت له لا أكثر.

تدور مأساة «المتشائل» بين القوة المنتصرة وقدرة المنتصر على الخلق عن طريق التسمية. فالمنتصر يعيد خلق العالم بواسطة الأسماء التي يخلعها عليها، كمالو كانت ماهية الموضوع تساوي الاسم الذي خلق عليه المنتصر، أو كما لو كان المهزوم قد ولد مرتين، إحداهما زائفة، سبقت وصول المنتصر، وثانيتهما حقيقية، تلت زمن المنتصر الذي جاء بسميات جديدة. ولذلك فإن المهزوم، من وجهة نظر المنتصر، لاجود له في ذاته، لأن وجوده يساوي الاسم الذي اختاره المنتصر له، الأمر الذي يعني، وفي مفارقة ساخرة، أن المنتصر يلغي المهزوم ولايقتله، ففي قتله اعتراف به أو شيء قريب من الاعتراف. تكمن مأساة «المتشائل» في حضوره وفي غيابه في آن، فهو غير موجود في ذاته، وموجود هو في الاسم الذي اقترحته اللغة المنتصرة. غير أن هذا الاسم يحيل على الإلغاء لا على الوجود وينقل «المتشائل» من عالم الأعراف المألوفة إلى عالم هجين، يترجم معجزة الوجود واللاوجود معاً. ولذلك فإن الضابط الإسرائيلي يصغي بانتباه إلى الفلسطينية وهي تدله على المكان الذي خبأت فيه ذهبها، ويحول انتباهه إلى ترحاب وحبور حين تصدق المرأة الفلسطينية في قولها. لكن وجود المرأة يتلاشى حين تطلب منه أن تأخذ ذهبها وتمضي. ذلك أنها موجودة في ذهبها، وغير موجودة في علاقتها به، لأن الإسرائيلي هو الذي يحدّد معنى الذهب والعلاقة والملكية معاً. وهذه المفارقة التي تنز دماً تدفع سعيداً إلى اختراع صفة «المتشائل» الذي لاهو بمتفائل ولا هو بمتشائم، بل شيء هجين ينوس بينهما، كما لو كان ينتسب إلى جنس خاص من البشر.

يرتاح إميل حبيبي إلى الحكاية القديمة ويستقدمها إليها، ثم لايلبث أن يفتّت الحكايات في نص يتجاوزها، هو ينفذ إلى جوهر العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، متخذاً من الحاضر بؤرة ذهبية تعيد كتابة الحكاية في شكل رواية، أو خالقاً رواية من تضافر الحكايات المنهدمة. ولن تكون حكاياته، التي هدمتها الرواية وانبنت بها، إلا مرآة لشرط تاريخي غريب يقلب معنى الحكاية والرواية على السواء، بقدر ما يقلب معنى الوطن والتسلسل والملكية. شيء قريب من حكاية العبد الجامايكي، الذي يهمس بـ «ضربة عنيفة مستقيمة بعصا عوجاء رخوة القوام». فلا الاعوجاج القائم يتيح تحقق المستقيم ولا الرخاوة الحاضرة تسمح بضربة سديدة.

يحضر السياق التاريخي مع ضحكة الأسود، ويأتي الضحك الأليم مع نص أدبي ساخر، يفصح عن جوهر زمانه وعن كل زمن قريب منه. يصدر الضحك الأسود عن كآبة المفارقة، حيث الضحية تصون وجودها بإنكار وجودها، كما لو كان إنكار الذات شرطاً لتحققها، أو كما لو كان الوجود المقلوب الكامل شرطاً للاحتفاظ بوجود هجين مجزوء. وإذا كان الضحك الأسود، الذي تصادر نهايتها بدايته، تعبيراً عن سيرة الفرد الذي يخنقه ضحكه، فإن الشكل الأدبي لهذا الضحك، أي الملهاة السوداء، مرآة للشرط التاريخي الذي أنتج الفرد المهزوم وضحكة المراوغ في آن. وهذا ما حمل هيجل على الرغم من محدودية مقاربته في رأي جورج لوكاتش، على أن يرى في الملهاة السوداء صورة عن: «التعارض الصريح بين الذاتية المتناهية والعالم المقوّض»[6]. بل إنه رأى فيها جنساً أدبياً غير مكتمل، أو ناقصاً بالضرورة، لانها تأمل المصالحة المستحيلة بين الواقع والمثال، إذ المثال المنشود ينحسر أمام الواقع الذي يطارده، وإذ الواقع الطارد للمثال يتسع ويمتد. وفي هذا الفضاء، المحتقب للتقوّض وانهدام المثال وللجنس الأدبي الملاحق بنقصه، تكون الملهاة السوداء بلغة معينة، و«الساتير» بلغة أخرى، إشارة إلى عالم منهدم، غاض تفاؤله ونزف ضوءه وتحول الإنسان فيه إلى قناع حزين.

أخذ لوكاتش ببعض ما جاء به هيجل، وهو يحاور دلالة الملهاة السوداء، فاتفق مع أستاذه، الذي ما جافاه أبداً، حين ربط بين السخرية السوداء وشروط تاريخية مشخصة، واختلف معه وهو يحدّد ماهية هذا الجنس الأدبي الذي يزجر عالماً مقوّضاً. فـ «الكوميديا السوداء» كما يرى الفيلسوف الهنغاري، جنس أدبي سوي لايعتوره النقص، بقدر ما هو جنس أدبي مقاتل بامتياز. وفي هذا الجنس، الذي له أصوله الأدبية الخاصة به، يفيض الشكل على المضمون، بل يختفي المضمون وراء شكل يتضمنه ويتجاوزه معاً، كما لو كان الشكل في ذاته آية على المضمون الذي يرقد فيه: «إن ما تصوره الملهاة السوداء، هو ليس فقط ما يقاتله المرء والأسباب التي حملته على ذلك، ولا هو القتال ذاته، ولكن شكل التصوير ذاته، والذي هو من حيث المبدأ، وبشكل مباشر، شكل القتال الصريح»[7]. ومهما تكن الفروق بين الفيلسوف الألماني وتلميذه الهنغاري، فإن ما قال به الأخير يلقي على «المتشائل» وضوحاً كبيراً، إذ العمل كله حوار موجع مع شرط تاريخي لارحمة فيه، وإذ الشكل الفني في ذاته تنديد بالاضطهاد واحتجاج عليه. بهذا المعنى، يكون «المتشائل» وهو إنسان عابث ومهزوم ومغتبط بهزيمته، مبرراً للشكل الفني الذي ينكل بإنسان مفتون بإنقاذ جلده، ومفتون أكثر بامتهان وجوده الجوهري، بغية الإحتفاظ بوجود عارض ولا كرامة فيه. كان إميل حبيبي يبني مخلوقاً ضاحكاً في لحظة، ويخنقه بضحكه في لحظة تالية، منتقماً من يائس أدمن بؤس الإستسلام. يقول «المتشائل»: «قلت له: مدير عالي الثقافة! فقال: فعمّ كنتما تتحدثان؟

قلت: عن شكسبير وعطيل وديدمونة. قال: وتعرفهم؟ قلت: أروي عن الأول وأستلقي كالثالثة.

قال: يا حبذا»[8]. يرتاح «العبد السعيد» إلى سهولة اللسان، فيعبث بذاته، فإن أصابه الملل بحث عمن يعبث به، مبرراً العبث الأول بقبح الحياة، ومسوّغاً العبث الآخر بالحفاظ على الوجه، بعد أن انطفأت ملامح الوجه تحت ثقل القناع.

وسواء ضحك «سعيد» من وجوده المقلوب، أو أضحك عليه غيره بكلمات مستقيمة، فإنه رد على شرط ظالم، حده الأول الموت المباشر، وحدّه الثاني الانتحار البطيء. ولهذا فإن رواية «المتشائل» وهي تتناول الحكايات تهدمها، تنشر مع الضحك الأسود أسئلة متواترة، قاسمة الضحك إلى وجه مدمّى مثقل بالرعب وإلى قناع يحجب الرعب بابتسامة فارقت مواقعها. بمعنى آخر إن الضحك من التاريخ سؤال، والضحك الأسود من التاريخ إجابة هاربة عن سؤال رهيب.. وما الضحية الفلسطينية، التي دخل فيها «المتشائل» واغترب عنها، إلا الكيان الذبيح الذي يعرف ولايريد أن يعرف، لأنه يعرف أن إشهار المعرفة يفضي إلى الموت. فيلتف بجهله

الكاذب ويسير، مكتفياً بخطا معوجة، أرادها أن تكون صائبة ومستقيمة. و«المتشائل» انسان اغترب عن جوهره الإنساني، تحت عبء اغتراب كثير الألوان وتقوّض متعدد الطبقات، لو كان الاغتراب الكلّي شخصاً لكانه، بلغة قريبة من لغة إميل حبيبي الجميلة.

انهدام الحكاية ومحاكاة النموذج:

في الجزء الثاني من الكتاب الثاني يقع إميل حبيبي على العنوان التالي: «الشبه الفريد بين كنديد وسعيد». ويضع في حاشية الكتاب الجملة التالية: «كنديد - أو التفاؤل - قصة فولتير الشهيرة التي نشرها عام ١٧٥٩».. ويكتب أيضا: «ويقول: تذكرت ما أتاني من تقوّل أصحاب أصحابك على ما نشره من رسالتك الأولى إليهم وقولهم: احتفز الأستاذ ليشبّ فوقع دون كنديد إلى الوراء مئتي عام! فاقول: ما شانه وهو رسول؟ فما على الرسول إلا البلاغ! فيقول: كنديد متفائل، أما أنت فمتشائل. فاقول: إن في الأمر لمحاكاة. فاقول: لاتلمني، بل لُمْ هذه الحياة التي لم تتبدل، منذ ذلك الحين، سوى أن «الدورادو» قد ظهرت فعلاً على هذا الكوكب. فيقول: أفصح. فأفصح بالمقارنة بيننا وبين كنديد كما يلي بالتمام وبالكامل، لا أسقط سوى ما تكرر، عاماً عاماً، على مدى ربع قرن، وأقول: ألم يُعزّ بنغلوس وهو من شخصيات كنديد.. «نساء الآبار» على ما فعله بهن عسكر «البلغار» من اغتصاب ومن بقر بطون ومن قطع رؤوس ومن هدم قصور، بقوله: «غير انه انتقم لنا. فقد أصاب الآبار بمثل ذلك السوء بارونية مجاورة يملكها سنيور بلغاري»؟ فبمثل هذه التعزية تعزينا نحن، بعد مئتي عام»[9]. لاتعود المحاكاة إلى كنديد متفائل وإلى آخر متشائل، ولا إلى تعزية النفس بما لايغيّر من أحوالها شيئاً، بل المحاكاة قائمة في أمر جوهري آخر عنوانه: المحور الحكائي، فاميل حبيبي، الذي يرى الأدب في حكايات الأدب أي في منظور تقليدي، ولد ونما في حقل أدبي تقليدي، وقع على كنديد فولتير ولمس فيه ما يلبيه، واتخذه محوراً أساسياً، يبني حوله حكاياته المنفتحة على بعضها. بل إن حبيبي، وقد فتنه كنديد فولتير لأكثر من سبب، يأخذ بالنموذج وبفلسفته وبالعلاقات الفنية المشتقة منه أيضاً.

يقوم النموذج في شخصية - مرجع، تتوالد في شخصية أخرى، هي إعادة انتاج للشخصية الأولى في سياق مختلف. أما فلسفة النموذج فتتوزّع وبشكل لامتكافئ، على الطرفين معاً، حتى وإن كان أحدهما متفائلاً وثانيهما متشائلاً. ومع أن المتشائل يحتفظ بدلالته، على مستوى الوجود، من حيث هو كائن منقسم يسير على رأسه وينطق بقدميه، فإن منظوره للعالم لا «تشاؤل» فيه. فهو ساذج في تفاؤله ومتفائل في سذاجته، بل أن «متفائل» حبيبي لايحتفظ أدبياً باتساقه إلا في حدود التفاؤل الساذج الذي يلفّه، فإن بكى وتاسى كالآخرين، اقترب من الإهتزاز والتداعي، يقول «ابو سعيد النحس المتشائل»، في الصفحات التي يعرّف بها نفسه: «كانت البداية حين ولدت مرة أخرى بفضل حمار»، و«لما استشهد والدي على قارعة الطريق، وأنقذني الحمار، ركبنا البحر إلى عكا، فلما وجدنا أن لاخطر علينا، وأن الناس لاهون بجلودهم، نجونا بجلدنا إلى لبنان حيث بعناها واسترزقنا»، و«سرعان ما تبين لي أن الشتم لايدل على استهانة الشاتم بالمشتوم، بل يدل أحياناً على الغيرة». ويكتب حين يقوم بـ «بحث في أصل المتشائل»: «خذني أنا مثلاً فإني لا أميز التشاؤم عن التفاؤل. فأسأل نفسي: من أنا، أمتشائم أنا أم متفائل؟ أقوم في الصباح من نومي فاحمده على أنه لم يقبضني في المنام. فإذا أصابني مكروه في يومي أحمده على أن الأكره منه لم يقع، فأيهما أنا، المتشائم أم المتفائل؟».

لاموقع للجواب الذي يظنه سعيد والذي يرى في التشاؤل عنواناً له، ذلك انه متفائل وموغل في تفاؤله، دون أن يدري أن للتشاؤل موقعاً آخر، أي: يخترق التشاؤل، أي الإنقسام، الوجود الموضوعي لسعيد، دون أن يخترق وعيه. كان حبيبي قد أقام مسافة بينه وبين شخصيته، فأخبرها بأشياء وحجب عنها أشياء أخرى. ولذلك يعتقد سعيد، وقد جرفه الوهم والسذاجة أنه متشائل، دون أن يعلم أنه يرى، كقرينه كنديد، في العالم الذي يعيش أجمل العوالم الممكنة. فكل شيء مقبول طالما أن الجلد المباع يطعم صاحبه، وأن في العالم من يستعذب جلداً بشرياً يُباع بيسر وغبطة.

ويقول فولتير «فلقد أسدى ليبنتز،... خدمة للنوع البشري حين يجعله يدرك أن علينا ان نغدو فرحين مسرورين، وأن الله ما كان بوسعه أن يقدم لنا اكثر مما وسعه، وأنه لامراء في أنه اختار لزوماً بين سائر الحلول الممكنة أبدعها.

وكان حين يصرخ المرء في وجهه سائلاً: «إلام ستؤول الخطيئة الأصلية»؟ يجيب ومن ورائه أصدقاؤه: «تؤول إلى ما وسعها أن تؤول»...»[10].

لافرق بين الخطيئة التي تؤول إلى ما شاءت أن تؤول إليه والإنسان الذي يسترزق بجلده على قارعة الطريق، ولا اختلاف بين من يستشهد والده وينقذه حمار وبين من يرى في المصائب نعمة من الله، يسكن الطرفين تفاؤل مقمط بالرضا، وتلازمهما غبطة لاتعرف الأفول. يقول بنغلوس في كنديد: «لقد ثبت بالبرهان القاطع أن الأشياء لايمكنها أن تكون غير ما هي، إذ بما أن كل شيء قد جعل من أجل غاية فكل شيء جعل ضرورة من أجل أبدع غاية، فلاحظوا جيداً أن الأنوف قد سوّيت لتحمل نظارات ولذا فنحن نحمل نظارات، والسيقان قد صوّرت بداهة على هذه الصورة لتبلس السراويل ولذا فنحن نلبس السراويل، والحجارة قد جعلت لتصقل ولنبني بها قصوراً ولذا فمولانا له قصر بديع».

وعليه فاولئك الذين ادعوا أن كل شيء بديع، إنما ادّعوا سخفاً، إذ يجب القول: إن كل شيء هو أبدع ما يكون»[11]. والشيء البديع الذي لايوجد ما هو أبدع منه حمل حبيبي، وهو يبحث في «أصل المتشائل»، على أن يضع في فم «أم سعيد» حكاية تخبر عن توازن العالم وجماله. فالأم التي فقدت ابناً، تقطعت أوصاله، «للموه وأعادوه إرباً إرباً لا رأس ولا أحشاء» تنهي حكايتها الحزينة قائلة: «مليح أن صار هكذا وماصار غير شكل». وما صار مقبول لأن هناك ما أسوأ منه. ولأن الأسوأ لم يأتِ، فالعالم بديع، بل هو الأبدع الذي لانقصة فيه. يرتاح «المتشائل» إلى حكمة ليبنتز، التي تسعد بنغلوس ويورثها لتلميذه النجيب كنديد، والتي ترى «أن في استخدام الإنسان لقدميه كما يروق له امتيازاً للنوع البشري كما هو امتياز للنوع الحيواني». يساوي اعتقاد كنديد بامتياز استخدام الساقين، أي الإحتفال بالبداهة، اعتقاد «المتشائل» بامتياز نهوض الإنسان من النوم دون أن يقبضه الموت، وهو بداهة رائعة أخرى، يقول «سعيد»: «فالتجئ إلى جامع الجزار في كنف معلمي الذي عفوت عنه، فيأتي العسكر ويقذفون بالأشباح، وبأطفال الأشباح، إلى ما وراء الخطوط، سوى سعيد أبي النحس المتشائل، فكيف لا أشعر بأن هذه الليلة هي ليلة سعدي». يصوغ هذا القول، على طريقته ما جاء على لسان كنديد حين قال: «واها! لقد عرفته هذا الحب. سلطان القلوب، وروح الروح، هذا الذي لم يساوِ غير قبلة وعشرين ركلة على العجيزة. ولكن كيف لهذا السبب الرائع أن يحدث فيك مثل هذا المسبّب البغيض»[12].

يتبع...

المراجع

١- إميل حبيبي: سداسية الأيام الستة، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل.. وقصص أخرى منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الاعلام والثقافة، ١٩٨٠، لا وجود لمكان الطبعة.

٢- إميل حبيبي: أخطية، كتاب الكرمل، قبرص ١٩٨٥، ص: ١١.

٣- V.propp: Mor phologie du conte Seuil Paris, 1970 p176-183.

٤- المتشائل: ص ٥٩.

٥- المتشائل: ص ١٦٠.

٦- G.Lukacs: problemes du re'alisme. L'arch, e'diteur a Paris, 1975 p: 16-17.

٧- Ibid

٨- المتشائل: ص:٨.

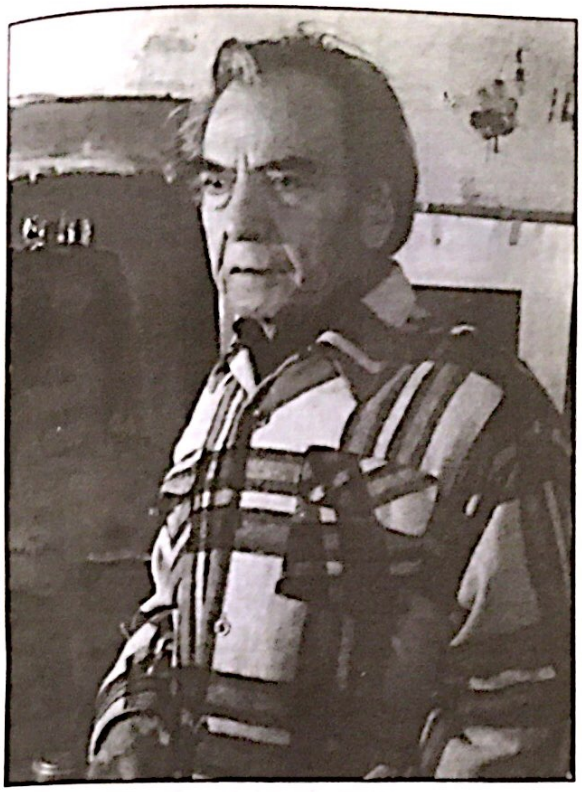
٩- المتشائل: ص: ١١٧-١١٨.

١٠- فولتير: كنديد، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٨، ص: ٩.

١١- فولتير: المرجع السابق، ص: ٢١.

رحيل التشكيلي السوري فاتح المدرس

الذي قاتل القبح بالجمال!



علي الكردي

تأثيرات فاتح المدرّس تتجاوز بكثير، كونه أهم ممثّلي التعبيرية السورية والعربية، التي تركت بصماتها الواضحة على المحترف السوري، وأجيال من الفنانين التشكيليين السوريين الذين تتلمذوا على يديه لتشمل الحياة الثقافية بشكلٍ عام.

لقد أثّر فاتح المدرس في أجيالٍ من الكتاب والأدباء والشعراء والصحفيين والمثقفين الذين طالما فُتنوا بهذا الإشعاع السحري الذي كان يبثّه في أحاديثه ومناظراته وكتاباته المشبعة بحس عميق بالأشياء، ورؤية نافذة تفتح أذهان سامعيه على آفاق معرفية واسعة، لقد كان فاتح المدرس باختصار مدرسة متكاملة ليس على صعيد الفن التشكيلي فحسب بل على صعيد الحياة لأنه صاحب رؤية واضحة، ومؤثرة جداً في القضايا السياسية والأدبية والحياتية واليومية، وكان بصراحته الواضحة كحدِّ السيف صاحب موقف أيضاً لايتردّد في الإفصاح عنه.

في إحدى الحوارات التي أجريتها معه سألته مرةً: كيف يستطيع الفنان بشكلٍ عام (وهو بشكلٍ خاص) الموازنة ما بين أن يكون مشبعاً بروح الحداثة والإنفتاح الإنساني العام، وما بين أن يكون في الآن ذاته منتمياً لجذوره وأصالته، وروحه المحلية، دونما إدعاءٍ كاذب، أو استخدام لشعارات طنّانة في فنّه لاتعكس معادلات جمالية وواقعية موازية؟

في معرض إجابته تناول الموضوع من زاوية مدهشة لم تخطر في ذهني، إذ قال: الفكرة الأساسية، مردّها إلى سخف الإعلام العربي. الإعلام العربي يظهر العدالة بلباس التهديد وتمثيل الشر، وكأن بالإمكان إصلاح العالم بعيداً عن الديمقراطية والحرية. وأضاف: يأتي الفنان ليواصل هذه الحالة: أي عرض المأساة التي تحدث في المجتمع من خلال فنه، فإذا رسم هذه المأساة بالشكل الإعلامي، سقط حتماً، أما إذا رسمها بشكلٍ جمالي فهي ستعيش أكثر. مثلاً «مذبحة قانا» أو «أيلول الأسود» أو المذابح التي حدثت في الجزائر والسودان والبوسنة.. هذه المذابح، هي الوجه الشرير لهذا القرن. مجمل الفلسفة والموسيقى، والأدب والشعر كان مجنداً للقتل، والسبب هو الإعلام الخاطئ.

ليس المطلوب من الفنان أن يرسم الشر، وهو يدمي القلوب، لا: لأنه إذا أراد رسم الشر، فهذا له جمالية صارمة، لكي تدوم في الذاكرة.

الإعلام العربي الخاطئ، جعلني أقول: «أنا أقاتل بجمال» ما معنى هذا؟ معناه أنني لا أقاتل، بإظهار القباحة، لأنه ثبت في حرب حزيران أن كل الفنانين الذين صوّروا هذه المعركة الغريبة بهذا الشكل لم تدم لوحاتهم.

أنا صوّرت تلك المعركة بشكل آخر. صورتها على شكل ملحمة جمالية، فيها جمالية التكوين التشكيلي. المسألة ليست عبارة عن إعلان مباشر، ينتهي بعد خمس دقائق من التلقي.

بعض الفنانين أخذوا دهان السيارات الأحمر، وداسوا عليه وطبعوا الأوراق، على أنها لوحات.

هذا النوع من الصرعات الصبيانية لايعطي نتيجة. اللوحة رموز. رموز المأساة تعيش لزمن طويل وتتثبت تاريخياً، هذا هو المطلوب، هي نوع من الإدانة، ولكن بقالب جمالي. ربما الناس لايتفهمون هذا الكلام، ومن الصعب النقاش مع الناس في معطيات من هذا النوع.

أعتقد أن النقد الجمالي في عالمنا العربي لم يكتشف حتى الآن عبقرية فاتح المدرس، وخصوصيته كفنان، والمسألة بتقديري تحتاج إلى أبحاث ودراسات تتناول فنه، ومراحل تطوره وصولاً إلى تحديد ملامح هويته الفنية ومدرسته الخاصة، لأنه بالفعل صاحب مدرسة مختلفة،

لأن المطلوب ليس القول فقط، أن فاتح المدرس كان فناناً كبيراً، بل الأهم أن ندلّل على ذلك في الدراسة والتحليل، وفي هذا السياق تحضرني إجابته حول سؤال يتناول المؤثرات التي خضع لها، إلى أن تبلورت هويته الفنية الخاصة. حول هذه المسألة يقول الفنان الراحل: لقد خضعت في البدء لما يسمى (نظريات العالم الخارجي)، تلك النظريات الفنية التي ظهرت في أوائل هذا القرن، وفي أواسطه، وحتى تلك التي ظهرت في أواخره، وكذلك خضعت لتلك النظريات التي تناولت الأدب والصحافة، والموسيقى.. لكن خضوعي لها كان حذراً جداً، وفيما بعد رفضتها، ثم منذ قرابة ربع قرن، صرت أتجه إلى ما يسمى تجاوزاً: «مطلق الحساسية».

وتساءل: ما هو مطلق الحساسية هذا؟

هل هو تكامل الصدق؟! هل هو الصدق الكلي؟! هل يمكن أن أقول: (أرى)، التي ليست مجرّدة، لأنها بصرية؟! هل تستطيع ان تقولها بكلمة، وهذه الكلمة هي: صوت مجرد يحمل ألم الصورة؟

هذه هي المفارقة بين الكلمة والصورة. إنهما عالمان مختلفان كل الإختلاف.لا علاقة بين الكلمة والصورة. الصورة بسيطة. الصورة عبارة عن اتجاه، أو نشاط حيواني، فيها كل الغرائز والأحكام السريعة، أما الكلمة، فهي مجموعة، مؤلفة من مئات الصور، لذلك كنت أجد صعوبة كبيرة في قراءة ما يكتبه الغير، لأنني كنت أرى فيه نوعاً من الغباء والكذب، ونوعاً من التمثيل المسرحي الهزلي. أقصد أن كل أحكامنا، وكل فنوننا مازالت بدائية، والبحث عن المطلق، هو نوع من المعجزات غير ممكنة التحقق.

وُلد فاتح المدرس عام ١٩٢٢، مع نهايات الحرب العالمية الأولى، وعاش طفولة متارجحة ما بين الريف والمدينة. قُتل والده في ظروف غامضة، وكان عمره آنذاك سنتين، وتعرضت والدته (عيشو برازي) الفلاّحة الكردية إلى ضغوط عائلية من أهل زوجها، لأنها على حدّ تعبيره «لم تكن مستساغة اجتماعياً، كونها فلاحة». أهل والده أرادوا أخذه إلى المدينة مع أخيه كي يدخلا المدارس، أما أمه فكانت تخاف أن يُظلم ولداها من أهل زوجها لذلك عاش هذا التارجح بين عالم الريف وعالم المدينة وتأثر مزاجه كثيراً بعالم الريف الجبلي، الصعب والجميل الذي يعاني كما يقول فاتح «من رائحة القتل اليومية التي كانت تجري فيه أيام ما بعد الحرب» وفي هذا الجو شدته الطبيعة، والحيوانات وأصوات الذئاب، وبكاء النساء الريفيات على أبواب بيوتهن، ثم وخلال ذهابه إلى المدينة كان يحتك بعالم آخر مختلف كل الإختلاف عن الريف، وهذا ما خلق عنده نوعاً من المحاكمات البدائية حول الظلم.. والموت.. والأمومة.. وقسوة الإنسان.

إن تأثره بطبيعة الشمال السوري البكر في تلك المرحلة طبع كل مراحل حياته اللاحقة، وظل أميناً لهذه البيئة بجمالها وقسوتها وبؤسها، وعكسها بأجمل لوحاته التي يشتم المرء من خلالها رائحة الأرض، وهذا الإرتباط السرّي العميق بهذه الطبيعة التي بحث في جذورها، وقرأ أساطيرها ليمنح لوحته إضافة إلى هذه الرؤية وهذا الإرتباط الحميم مسحة حداثية معاصرة أضفت على لوحته هذه التعبيرية الخاصة به، والتي هي نتاج رحلة طويلة من المعاناة والألم والثقافة والمعرفة والبحث..

رحل فاتح المدرس عن عالمنا في الثامن والعشرين من حزيران الماضي بعد معاناة مع المرض دامت ثلاثة أشهر، وكان قبل ذلك قد قال: صرت الآن على مفارق النهايات، أنظر إلى الوراء وأتأمل بعض ملامح الأيام والزمن المتبقي، وأستطيع أن أصور هذا الشعور على الشكل الآتي: مثل إنسان عمّر بيتاً في السهل مع الطبيعة في خيرها وشرها، وبعد ذلك وجد نفسه واقفاً في العراء على قمة ليس له علاقة بها إطلاقاً، يرتدي مسوح الغربة، ولايشعر بأي خوف، أو أمل، وليس له أي مطلب، صار وضعه جزءً من هذا الكون العابث، حيث انعدمت مفاهيم الخير والشر، ومفاهيم الجمال صارت تعيش في تضارب ولم يعد هنالك ما يسمى بالفرح المجنون الذي يحرّك العالم، واللغة التي استعملتها طوال حياتي أصبحت صفراً، ليس لها أي معنى!■■

الأحلام المحرمة

الحكم النعيمي

ربما علينا دوماً اختزال الأشياء وخاصة الجميلة منها لئلا تغدو تمثالاً على سطح الذاكرة، ما أعتقده أننا مسكونون بالذاكرة ومجرد التفكير في العدول عن ذلك لهو ضرب من الفجيعة كاعتقادي أن كتابتي لك ضربٌ آخرُ من الفجيعة والألم بعدما أصبحت الذاكرة مدناً حائرة كانت تشبهك إلى حد القلق الممتد من عينيك وحتى أعتاب حيفا، لكن في النهاية سأشرع نافذتي نحوك لأنك على الأقل تضعني وجهاً لوجه مع الوطن وكأن ملامحك تتخذ تدريجياً شكل الوطن.

كنت أشك بأن حيرة الكتابة لن تحدث سوى للآخرين ومجرد التفكير بذلك مسٌ من جنون مثلما اعتقدت أن قتلك للهزيمة عبر إيجابية شخوصك سيضع الواقع أمام واقع جديد. هذا كله يقودني لاستخلاص مفاده أنه يتوجب علينا الاحتفاظ بالذاكرة وتحديداً الصورة الأولى للاشياء لئلا تنكسر على شرفات الهزيمة.

أصبح من المسلمات للحصول على إذن بالحياة أن تمر عبر النوافذ لترى الآخرين يترجلون عن أحلامهم ويقدمون لك بطاقة تهنئة بالموت الجديد وينتشرون - ليُعِدُّوا لك سرير الضجر - كصفٍ من الكائنات، ملونة بأغنياتٍ وقصائد عشق قديم ترثي شاعرها بلغةٍ لم نتعلمها بعد وبلدٍ لم يكن لجسدنا فيه منفى وكأننا نرتكب الحنين لرحيق لم نتذوقه بعد ونحتاج انتظاراً لمن يستطيع تحويل هذا المنفى لمكان صالح للسكنى.

عليك أن تعرف أن الرجال حين تبكي تعلن للآخرين أنهم على خطأ وما نحن فيه لايعني أن نبيع أحلامنا في مزاد الآخرين.

ذات يوم وذات حزن وذات ولادة سنعلن لك من (الأليانس) من الكويت من الروشة من حيفا أن قلبك سيعود كيفما اتفق في حين سيندثر الحزن والمنفى والجنرالات والعسكر على حواف الجحيم عندها فقط سنعيد ترتيب الأشياء وننظر إلى ما هو أبعد.

ما معنى أن تكون استثنائياً؟ أن تتشرد وتتألم وتنهض وتتعثر وتتقدم مع أنك تدرك بأنك لاتملك شيئاً سوى دقائق معدودة من الفرح المختلس وكل ما عدا ذلك متسعٌ من السنين للعذاب!!.

ربما اقتربت كثيراً منك، فلغيابك طعم الفجيعة فهل هي صدفة أن تحضرني وأن يتولد معك مذاق الموت وكأن (لاقيمة للحياة قط ما لم تكن واقفة قبالة الموت)؟!.

أعرف أن المرايا لاتخون وأن التصالح لايمكن أن يكون إلا مع الذات والطيبين، لكن خانتنا المرايا ولم نتذكر صورة وجهنا فيها. ماذا نكون في هذا الرحيل إلا قتيلاً لايعرف أن القاتل صورة أخرى في المرايا.

عندما كانوا يتحدثون عنك رأيتك في ألوان قوس قزح التي تمتلئ بحضورك وهي تنساب على الورق الأبيض كلوحةٍ جديدة، كنت بالحقيقة أغرق فيك وأنصهر كما يتسلل الحزن إلى أروقة المدن. كنت عبثاً أحاول استعادة سلطتي على الحواس، لم أستطع سوى أن أذوب فيك كما الوطن الذي أصبحت معصوب العينين أُقاد إليه وأنا مدرك أنني مصاب بالحلم. كان يكفي أن أعرف بأنني أكتب عنك أم أنني كنت أحلم!

بحثت عنك في المنفى والمدن الضائعة وقد أصبحت مصابةً بالحزن حين غدا الحزن ملمحها الوحيد.

أحياء بيروت تفتقدك في حين يحاول الكثيرون التنكر في زي الحب والكلمات. كنت القادم والوطن منتظر، الآن الأدوار معكوسة تستوقفني هذه الهوة الموغلة في العمق لأتصالح مع الأشياء لأن رغبتنا في الحلم ضرب من الخيال لحظة جنون نحكم عليها بالروعة حين تولد قسراً من الذاكرة وأنا موقن بأننا نحلم.. كم هي كبيرة أحلامنا.

ولتكبر طالما أنها ستهزم هامش الخيبات والانكسار في ليلةٍ واحدة وبذلك نكون قد تورطنا أكثر في الذاكرة وجعلنا من مبررات رغبتنا في الحلم هي نفسها ما يجعلنا نعدل عنه ■■

في الذكرى الـ ٢٧ لاستشهاد غسان كنفاني

منتدى غسان كنفاني الثقافي يكرم الأديب محمد الماغوط



بين الحكيم الدكتور جورج حبش والأديب المبدع محمد الماغوط الكثير من الأوطان والأحلام والحب، وما يجمع بين الإسمين أكثر من حكمة وصمود وصبر، إنه الأمل الذي مازال يشدنا من دموعنا إلى بلاط الشمس لنكون أجمل، وفي سياق ذاك الأمل أقام منتدى غسان كنفاني الثقافي أمسية تكريمية للأديب المبدع محمد الماغوط بحضور عدد كبير من الشخصيات السياسية والثقافية والمهتمين.. افتتح الأمسية وأدارها الشاعر محمود السرساوي باسم إدارة المنتدى قائلاً: «.. منذ حزنه في ضوء القمر حتى خارج السرب، يدفع الماغوط عنقود أرواحنا حبة، حبة.. نزيفاً، نزيفاً.. يُعتقُه في دنان الحبّ والسخط والسخرية الجارفة، فيضيئنا جمالاً وأحلاماً وغضباً.. فالكتابة هنا بالشفرة لا بالقلم، وبدم الحواس لا بالحبر، عارية حتى الثمالة، لاتردد، لا خوف، لاتكلف، تفاجئنا سطوة الوضوح بسحر علوها، ويدهشنا الغامض بقربه من ألفتنا..».

وأردف: في تكريم الماغوط نكرم أديباً مبدعاً، نكرم ثقافتنا الوطنية الديمقراطية بوجهها البهيّ المتمرد على أشكال القهر والعسف والظلمات..الثقافة التي دافعت وبإخلاص عن كل القضايا العربية المصيرية، وفي مقدمتها قضية فلسطين، وصانت بنقديتها العالية شرف العقل، ونبالة الحرية، وضرورة العدالة.

ثم ألقى الكاتب حسن. م. يوسف بشفافيته المعروفة كلمة جاء فيها: «أصارحكم أن رغبتي في التنحي كي يمر الشاعر محمد الماغوط، لايعادلها شيء على الإطلاق. فليس من محنة يعانيها كاتب النثر أكثر من أن يتكلم عن الشعر في حضرة شاعر كالماغوط؟ غير أن رغبتي في التنحي تصطدم برغبة أخرى أقوى منها، هي أن أتغلب على ارتباكي وأن أشكر الشاعر بلغةالناس اليومية المتعبة، على ما سبق وقاله هو بلغة الشعر المضيء!.. أيُّها الشاعر أنت تعلم في قرارة حكمتك أن الحب ليس أعمى، بل إن فقدان الحب هو الأعمى! صحيح أنك لاتبدي إهتماماً بالجحيم البعيد، لكنك تعلم أن الجحيم القريب هو أن نتوقف عن الحب، لذا تشعل قلبك حتى مداه الأقصى في الكلمات، وتطلقها طيور نار فينا كي تنيرنا وتبعث الدفء في قلوبنا».

واختتم كلمته بالقول: «.. كذلك شعر الشاعر هو حياته! وليس من تعريف يمكن أن ينير كالضوء!، وها نحن الآن يجمعنا الرجل الحكيم جورج حبش، كي يكرمنا بنور قلبك! فشكراً للكريم والمكرم!..» ثم تلت الأستاذ المحامية حنان نجمة كلمة بعنوان «الأديب محمد الماغوط» قالت فيها: «... محمد الماغوط أديب مبدع، يصوغ فكره، شعراً أو نثراً جميلاً متميزاً، مسرحاً أو مقالة أو خاطرة، عقله وقلبه يقاتلان الفقر، الجهل، الظلم، الشقاء، القهر، الذل، الإحتلال.. كل بؤس في الحياة، وفي واقعنا العربي المتخلف.. وفي صراعه المر الحزين الجارح هذا، ينشد مجد الحياة الكامن في ماهيتها، ينشد فرحها وجمالها كبرياءها وانتصارها، ويرنو إلى المثال/ المطلق: الحق والخير والجمال..».

وتابعت استعراض التجربة قائلة: «.. لا أظن أن الشكل يهم الماغوط من أجل الشكل، المهم عنده هو ما يمس العقل والقلب والروح، ما يحط في مواطن اليقظة منها، وبذلك لم يقصد الماغوط التأسيس لجديد ما، بقدر ما عناه إيصال الفكرة/ العتلة إلى تلك المواطن عند القارئ أوالمتلقي، بانسب وسيلة تحملها بكل شحنتها وأبعاد تداعياتها، دون قيد أو عائق ينتقص منها، فجاءت لغته المتميزة بخصوصية شخصيته وموهبته وإبداعه ـ والأسلوب هو الأديب كما يقال..».

وأنهت كلمتها متوجهة للماغوط بالقول: «.. أيها الأديب المبدع الحزين، وهل هناك اليوم مبدع عربي ليس حزيناً..؟؟ ألا ترى معي أن تشاؤم العقل لايقاومه إلا تفاؤل الإرادة كما يقول غرامشي؟!

فأهلاً بك بإرادتك الطيبة الحنون المحبة للإنسان، للوطن، للحق، للخير، والجمال، وللحرية التي منحتها أخص ما في قلبك وروح إبداعك..» وألقى الأستاذ محمد الماغوط بعدها كلمة بليغة وصريحة جداً قال فيها: «شكراً للحضور، وشكراً للحكيم الذي مُذ رأيته على عكازه رأيتُ فيه أوطاناً كثيرة.. حتى الآن لا أعلم إن كنت أبني أم أهدم في كل ما كتبته، لكنني باختصار شديد مصاب بمرض عضال اسمه فلسطين.. وقد أطلقت منذ خمسين عاماً رصاصة الرحمة على رأسي لكنها لم تصله حتى الآن..».

ثم كانت كلمة الحكيم بصدقها المعهود ترسخ في الأذهان صورة «الضمير» الذي لايكف عن نقد الذات قبل الآخرين، وتؤكد من جديد أهمية «الثقافة» والمثقف في المرحلة الراهنة حيث قال: «.. أتذكر منذ بضع سنين في حفل مشابه حين طلب مني أن ألقي كلمة أنه خطر ببالي ما يخطر ببالي الآن فنحن في اللحظة الراهنة أمة مهزومة ويجب أن نعترف بذلك، لقد هزمنا عسكرياً واليوم نهزم سياسياً، فهل يعني ذلك أننا هزمنا إلى الأبد، جوابي أننا لم نهزم ثقافياً بعد، فالثقافة خندقنا الأخير، وهذا النشاط الذي يقوم به رفاق في الداخل وفي لبنان وسوريا يشي ببداية النهوض..»

وفي ختام الحفل قدم الحكيم للأديب الماغوط لوحة القدس ودرع غسان كنفاني الثقافي ليؤكد الوجهان من جديد على أن الإنسان موقف، ولايجيده الضعفاء فينا...؟■■

في ذكرى رحيل الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب

«أنشودة المطر» واقع وثورة

عبد الكريم درويش

في كلّ قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنَّةِ الزَّهر.
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمةٌ توَرَّدت على فم الوَليد
في عالم الغد الفتي، واهب الحياة
ويهطل المطر

إنه صوت السياب أحد أكبر شعراء العصر الحديث. إنها كلمات وإيقاع وموسيقى أول من ثار على النمط الشعري القديم نحو تغيير هيكلية القصيدة وبنائها، تلك القصيدة التي حملت في طياتها صراع القديم والحديث.

ودراسته، دراسة نَفْس إنسانية حُكِمَ عليها بالتشرد والغربة والخوف نتيجة حال البلاد السياسية والاجتماعية، والظروف المعيشية الصعبة التي كانت تأخذ بخناق المجتمع العراقي حوالي منتصف القرن الحالي فانتفض ثائراً سياسياً واجتماعياً في شعر عتقته التجربة، وتعبير وصفه الألم.

أخذت بذور الثورة تدب في أعماق الشاعر من خلال نقمته على الحياة السياسية التي سادت المجتمع العراقي آنذاك، ومن خلال رفضه لواقعه الاجتماعي الذي كان يصفعه بدمامته وفقره، والذي سرق منه صلته بالحياة. فكانت حياته، بالحب ثورة، وفي العمل نقمة، وفي السياسة صراعاً وتشرداً، وفي الأدب خصاماً ومنافرات، وفي العمل طموحاً مكبلاً بالعجز.

وإن كانت قصيدة «أنشودة المطر» تحمل تقاطعات حياة السياب البائسة، فلأنها تجربة شعرية عاش فصولها الشاعر، وحمّل طياتها عالمه الخاص بتعقده، وعالم «جيكور» بواقعيته.

فأتت القصيدة صوراً ناطقة بمخزون حياة معذبة. ولكن هذه الصورة بتعدد رموزها وغموض تشابيهها واستعاراتها على القارئ بسبب التراكم والتفريع والتجزيء، جعلت النقاد يذهبون المذاهب ـ خاصة ايليا حاوي ـ ويغمطون حق هذه الرائعة بالخلود. وما غموضها سوى طاقة تتداخل في التعابير، لأنه ناتج عن المدة الشعرية من خلال الإكثار من الصور، وضغطها بكثافة الرموز والأساطير التي تعود إلى الدوال لا إلى المدلولات، حيث تنسحب في صور ناطقة في مقاماتها لأنها هي المقصودة، أي أن قيمتها ليست بفضل وجودها في حد ذاتها. بل فيما تقوله بفضل تفاعلها مع العناصر الأخرى في سياق محدد في النص، أي أن الصور تنبع من داخل الأبيات وتنبثق من تركيبها الفني، فالشاعر بحاجة إلى استعارات وتشابيه وصور كي يخلق الروح في النص، وبالتالي كي يُسمع القارئ ما يقول. من هنا القول: إن أعظم الأشياء صورة يخلقها الإنسان لوجوده مجسدة في قصيدة.

جدلية الداخل والخارج في النص:

إن النص بتوجيهه العام يقدم هندسة عامة تحدد: ١ـ معطى تحليل (حركة الفقراء والمهاجرين). ٢ـ منطقة مراقبة (العراق). ٣ـ فترة تاريخية (نهاية حكم نوري السعيد).

ولكن كل خاطرة في هذا النص محملة بالتوظيفات التي تتضمنها الفكرة والتي توافق مقتضاها. فالمطر والضباب والغيوم والسحاب والرعود والبروق ليست في العراق سوى عناصر مواجهة لخلق وتشكيل الديكور الثوري في القصيدة، فهم يتحركون مثل عناصر متفاعلة تحدد بتوجهها العام البؤس اللا إنساني لهذه البقعة.

بتحليلنا لنص هذه القصيدة، نلحظ أن قراءة الشاعر للأحداث مغطاة بالأسطورة التي تحيلنا بشكل ما إلى الإيديولوجيا التي يشير إليها النص. فالشعر يعيش في لاوعي الإنسان، وكل ما ندعوه أفكاراً وآراء (ايديولوجيا) يعيش في وعيه. ولهذا فإن القصيدة تقتات خزانات وأحلام وعواطف الإنسان، أي الروافد الأكثر قوة والأكثر حياة. إن البنية الأسطورية هي بنية أكثر عمقاً من البنية الإيديولوجية للأحداث المروية. ومن هنا يتنابذ تعبيران في الأسلوب على تداخلهما: التعبير الأسطوري والتعبير الإيديولوجي. وبتلاعب القول الرمزي، فإن الطبيعة تحل محل التاريخ، فنستعيد الإيديولوجيا على هذا المستوى الحقل المشغول بالوصف الأسطوري لأن القول التصاعدي يمر من الأسطورة إلى الإيديولوجية.

يظهر مطلع القصيدة أن الحبيبة ـ الموحية للشاعر ـ ليست إمرأة حقيقية، بل رمزاً لهذه الحبيبة التي تيمت السياب والتي أصبحت محور شعره الملتزم:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء.. كالأقمار في نهر

نعني العالم العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص، أو هي رمز لآلهة الحي التي يضرع لها الشاعر حتى تنتج الخيرات التي يحتاجها العراق. من هنا تصبح الحبيبة بلاد الشاعر والمرأة التي أحب بكل جوارحه والآلهة التي يضرع لها، وهذا ليس بجديد في عالم الأدب والشعر، لأن الأرض المزروعة والمرأة غالباً ما يتماثلان في الآداب العالمية من حيث العطاء لإستمرارية الحياة، والسياب الذي فقد أمه يافعاً، أخذ يماثل بين فقدان الأم وفقدان الأرض، من هنا فإن الأم والمرأة والأرض يشكلن مع المطر المحور الرئيسي لهذه القصيدة، فقد حاول السياب تحسس والدته وإشعاعات أوضاع قريته، هذه الأم/ الأرض التي فقدها، سيجدها في أعماق نفسه لأنه يحس الثورة التي ستعيد إليه العراق:

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال
حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الوادي من أثر

ولهذا فالسياب يتقدم نحو قريته، نحو أرضه، نحو رحمه، نحو المرأة التي تنام في أعماقه. فهو يعود في زمنه وفي تاريخ شعبه حتى يجد اليوم الذي يلاقي فيه تموز إله الخصب، إله الربيع الذي أخصب الأرض بدمه، والذي يعود كل ربيع ليخصبها من جديد، فالأبيات في هذه القصيدة مشبعة بأسطورة تموز، فهي تحوي الموت والميلاد والظلام والضياء:

ومنذ أن كنا صغاراً، كانت السماء
تغيم في الشتاء
ويهطل المطر
وكل عام. حين يعشب الثرى. نجوع
ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوع
مطر..

وهذا يتضمن موت تموز وانبعاثه لأنه سيمضي ستة أشهر مع الأحياء ـ مع عشتروت ـ وستة أشهر مع الأموات. بفترة موته يجوع الناس (جوع نفسي وعقلي) للحب والحياة:

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر
وأسمع القرى تئن، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع،
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
مطر..

وبفترة انبعاثه ـ خلال أشهر الحصاد ـ يجوع الناس أكثر:

وفي العراق جوع
وينثر الغلال فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشوان والحجر
رحى تدور في الحقول.. حولها بشر
مطر..

وهذا لأن خيرات الأرض لاتتوزع على الناس بعدل، فالبؤس يحاصر الفقراء:

وينثر الخليج من هباته الكثار
على الرمال رغوة الأجاج والمحار
وما تبقى من عظام بائس غريق
من المهاجرين ظل يشرب الردى
من لجة الخليج والقرار

والأفاعي الأغنياء يشربون الرحيق:

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربها الفرات بالندى

هكذا تتمحور القصيدة في عمقها صوراً لإله الخصب الميت المنتظر أن يبعث والآلهة الكبرى التي هي الأم.. فالسياب لم يذكر في هذه القصيدة أسماء أسطورية، بل جعل المفاهيم والرموز الأسطورية تتسرب في داخلها تسرباً كلياً مما أدى في النهاية إلى وجود بناء أسطوري متكامل. ولكن كيف يتم ذلك؟

يقول باختين: [إن علم نفس الجسم الاجتماعي يتحول إلى تصور ما ورائي أو أسطوري أي يعود إلى النفس الجماعية أو اللاوعي الجماعي]. ولكن هذه البنية ـ من وجهة نظر محتوى القصيدة ـ تحققت بواسطة الإيحاءات الايديولوجية لنماذج وأشكال التراكيب التي تأخذ من خلالها هذه التصورات شكلاً، أي تتحقق لأن الصورة الفنية/ الرمزية التي يعطي بواسطتها الجسم حياة هي سلفاً نتاج إيديولوجي. فالجسم المادي يتحول إلى علامة، ولكن دون أن يتوقف عن أن يكون جزءاً من الحقيقة المادية، يعكس إلى حدٍ ما حقيقة أخرى. وعلى هذا النحو تتجلى ايديولوجية السياب، والذي ساعده في ذلك هو التصوير النوعي لما في العراق من صراعات ـ خاصة طلبه الثورة وخوفه منها ـ فهو كان يشعر أن مسار هذه الثورة غير واضح المعالم: فهي موجودة بتناقضاتها وبتشعبات منظريها. لذا ينهي السياب قصيدته كما بدأها، أي تفتح وحياة جديدة ■■

عزف منفرد

ملكة جمال فلسطين

يقول الخبر: انتخبت شيخة سالم، وهي تلميذة في الثامنة عشرة، من قرى الجليل، ملكة لجمال فلسطين، وهي الأولى التي تحمل هذا اللقب. وكانت سالم واحدة من ثلاث مشاركات من الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٤٨، تبارين مع /٢٩/ مشاركة من الضفة الغربية وقطاع غزة للفوز باللقب.

ومنذ فترة قصيرة انتخبت فلسطينية شابة أخرى من الأراضي المحتلة في العام ١٩٤٨ أيضاً ملكة لجمال إسرائيل.

فهل هي الصدفة وحدها التي تجعل جميلتين فلسطينيتين من أراضي الـ ١٩٤٨، واحدة تفوز بلقب ملكة جمال إسرائيل والأخرى تفوز بملكة جمال فلسطين؟

يبدو أن هذا الأمر ليس من قبيل المصادفة إطلاقاً، بل يمكن القول: أننا أمام شكل آخر من أشكال التطبيع، يمكن أن نطلق عليه تسمية «التطبيع الجمالي»، وإلاّ لماذا لم تنتبه الدوائر المعنية في تنظيم مثل هذه المباريات في إسرائيل طوال الخمسين عاماً المنصرمة إلى (الجمال الفلسطيني)؟! أم تراهم يريدون سرقة الجمال أيضاً بعد أن سرقوا الأرض والثروات والذاكرة والفلكلور الخ..؟!

من جهة أخرى لابأس أن تقوم السلطة الفلسطينية بتنظيم مثل هذه المباريات، لتذكير العالم أننا شعب، كبقية شعوب الأرض نتوق للحب والجمال، وعندنا من الجميلات اللواتي يمكن أن يشاركن في هذه المباريات وينافسن على لقب ملكة جمال الكون الذي يستأثر باهتمام جمهور واسع في كل أرجاء العالم.

لكن الأمر ـ على ما يبدو ـ بالنسبة للسلطة لايقف عند هذه الحدود، ويمكن للمرء أن يشتم الدوافع الأخرى من وراء هذه الحركة التي لاتخلو من اللعب السياسي، وتوظيف أي شيء لخدمة أغراض معينة.

علي الكردي

اعترافات متسكّع دمشقي

عن دار كنعان للدراسات والنشر صدر حديثاً مجموعة قصصية للكاتب سهيل الشعار بعنوان: «اعترافات متسكع دمشقي»، وهي الثانية للقاص الشعار بعد مجموعته الأولى «أعود بعد الموت» الصادرة في عام ١٩٩٦.

يتحدّث الشعار بقصصه بلغةٍ بسيطة ومتدفقة «عن الناس البسطاء الذين عاش معهم، عن ليل القرية، وأرصفة المدن الرمادية.. عن الجدة العجوز التي ترمز إلى تراثنا الأصيل، وعن الأم النبيلة، الطيبة.. عن الذين أحبهم بصدق.. عن أولئك الذين جاء لينتظرهم تحت الثلج والمطر، ولم يأتوا».

تضم المجموعة (٣٢) قصة، وتقع في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وقدم للمجموعة القاص وليد معماري بمقدمة طويلة عنونها بـ «دعوة للضحك في مأتم لايُضحك».

كاريكاتون علي فرزات

بدأ فنان الكاريكاتير السوري علي فرزات تجربة جديدة قوامها تحويل الكاريكاتير الثابت الذي يرسمه في الصحيفة اليومية إلى كاريكاتير متحرك يُبث تلفزيونياً، وقد أطلق على هذه التجربة الجديدة اسم «الكاريكاتون»، وهي تجربة تأخذ من فن الكاريكاتير وفن الرسوم المتحركة وتدمج بينهما، لكنها جنس ثالث يختلف عن الاثنين، وفي هذا الإطار تعاون فرزات مع فنان الرسوم المتحركة موفق قات وقد أنتجا حتى الآن مجموعة من الأعمال باتت جاهزة للبث في المحطات الفضائية العربية.

«كولاج» لدلال مقاري

أقيم يومي السبت والأحد ١٠-١١/ تموز/ ١٩٩٩ على خشبة المسرح الدائري في المعهد العالي للفنون المسرحية، عرض لمسرح خيال الظل من سيناريو واخراج دلال مقاري بعنوان «كولاج».

وهذا العرض هو عمل تطبيقي يجمع بين خيال الظل التقليدي والراقص والدمى ويشكل القسم العملي لمشروع التخرج الذي تقدمه مقاري بعنوان (فن خيال الظل وعلاقته بالسنيما).

وبعيداً عن تقييم العناصر الفنية التي بني عليها العرض فإنه يشكل مبادرة من نوع خاص وباتجاهين:



الأول: أنها المرة الأولى التي يتم فيها تقديم قسم عملي يكون أساسياً في مشروع التخرج في قسم النقد، حيث كانت العروض تقتصر على قسم التمثيل، ومن جهة أخرى فإن ما تقدمه مقاري يعتبر عملاً تأسيسياً رائداً أكاديمياً بسبب غياب فن خيال الظل من المناهج الدرسية في المعهد.

قصة التسعينات في سورية نماذج وقراءات

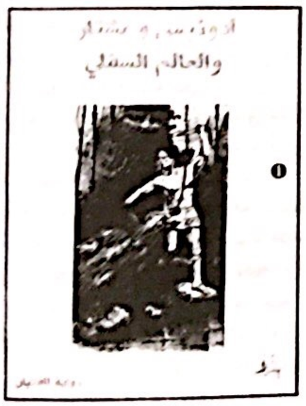


صدر حديثاً في دمشق عن مجموعة من القاصين السوريين كتاب «قصة التسعينات في سورية: نماذج وقراءات»، أعده القاص أحمد جاسم الحسين. يتألف القسم الأول من الكتاب من ثلاث قراءات نقدية الأولى ليوسف حطيني بعنوان «تيمات الانكسار والتوق الفني». والثانية لسليمان حسين بعنوان «وحداثية الفن ومأزومية الواقع». أما الثالثة فكانت لأحمد جاسم الحسين «صهيل المرجعيات في ذاكرات القص». أما في القسم الثاني من الكتاب فنجد اثنتي عشرة قصة منتقاة لمجموعة من الأدباء السوريين هم إبراهيم العلوش (شارع عباس)، أمين (أيمن) الحسن (وصولاً على الوقت)، بشار البطرس (باتيه من جديد)، تاج الدين الموسى (صندوق الدنيا)، جمانة طه (باب شقة عصرية)، شذا برغوت (درسان)، علي صقر (شيء يشبهه..) عماد نداف (الرجل الذي أحرق الكتب)، ماجد العويد (السادن)، محمد أبو حمود (معركة القبعات الساقطة)، محمد منصور (غروب)، أحمد جاسم الحسين (أصوات).

يقول أحمد الحسين في مقدمته التي أسماها «وشوشة»: «لعل فائدة مثل هذا الكتاب تكمن في أنه يعطي صورة ما عما آلت إليه أمور القصة القصيرة السورية في تسعينات هذا القرن بخاصة أنه حاول مراعاة التنوع الفني والتقني والدلالي ضمن حدود الممكن والمتاح رغم صعوبة اختيار اثنتي عشرة قصة من نحو ثلاثة آلاف قصة ظهرت فيما يزيد على ثلاثمائة مجموعة نشرت في التسعينات».

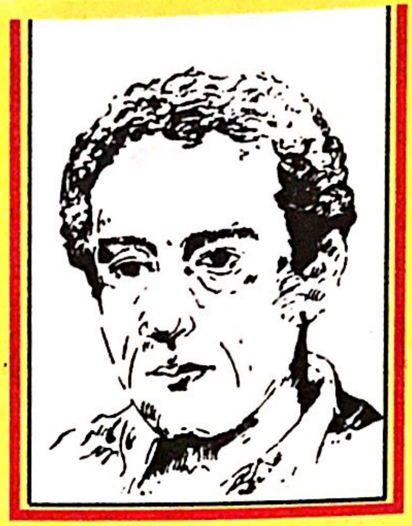
أما د. قاسم مقداد الذي قدّم للكتاب فقال: «لقد نجحت قصص المجموعة في رصد هموم المواطن العربي إزاء ما يجري حوله، وقد نجحت إلى حد كبير في تقديم صورة كاملة حول هموم المثقفين السوريين إزاء ما يجري في عقد التسعينات هذا، وبذلك فهي تدق ناقوس الخطر..».

أدونيس وعشتار والعالم السفلي



عن دار الحصاد بدمشق، صدر حديثاً رواية للفتيان تحت عنوان: «أدونيس وعشتار والعالم السفلي»، للكاتب يحيى أبو شقرة وتأتي هذه الرواية الأولى ضمن سلسلة روايات للفتيان سوف تظهر تباعاً، لتقرّب للفتيان بأسلوب مشوّق عالم الأساطير القديمة، التي تخص المنطقة، وسوف يصدر قريباً من هذه السلسلة «اختطاف أوروبا، الأميرة اليسار، ملك الجهات الأربعة».

يقع الكتاب في ٦٤ صفحة من القطع المتوسط، ومزّين ببعض الرسومات الملونة.



ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم





الآن «الهدف» على الانترنت

عنوان الموقع على الشبكة:
- http://www. crosswinds.net/lebanon/~hadaff
- http://www.crosswinds.Palestine/~hadaff

البريد الالكتروني:
- E-mail : alhadf@lebanon.crosswinds.net



الذكرى السابعة والأربعون لثورة يوليو

الثورة التي أنجبت ثورات

سبعة وأربعون عاماً تفصلنا عن ثورة يوليو..

ولأننا نعيش الزمن الرديء، يفيض القلب حنيناً لزمن عربي جميل تمثله الذكرى.. للإنطلاقة العربية الأولى في الزمن المعاصر.. ولأنها ثورية وأولى، كانت تشتعل حماساً، فيه ملامح طفولية صادقة، صافية، مخلصة لم تلوثها الحسابات الأخرى، والحرتقات الأخرى والفذلكات الأخرى...

إنها إذن الذكرى التي تلمع كنجمة صبح تتوهج في ليل خيباتنا وإحباطاتنا لتذكرنا بالطريق، طريق الخروج من تيه هزيمتنا..

قرابة نصف قرن مضت، وستمر سنوات كثيرة قادمة وستظل ثورة تموز على رونقها وبهائها.. ورغم كل ما قيل، وقد يقال عن الثورة فستظل في كل الأحوال حدثاً عظيماً ألقى بظله العملاق على الواقع العربي محدثاً فيه تغييرات عميقة بقدر ما هي هائلة على امتداد حقبة زمنية كاملة..

سبعة وأربعون عاماً تمضي شهدت الكثير الكثير من الأحداث الكبيرة والتقلبات العاصفة.. الانتصارات والهزائم.. صعود الثورة ثم تراجعها لتواجه مصيرها المفجع بعد انقلاب مايو ١٩٧٢ حين استدار عليها أبناؤها وأخذوا يكيلون الطعنات لمبادئها الواحد تلو الآخر.. ليصبح الحديث عما آلت إليه ثورة يوليو وأحلامها ومرتكزاتها لايثير سوى الحزن والكآبة.

ومع ذلك يبقى تموز ١٩٥٢ بالنسبة للعرب.. كل العرب.. هو البداية.. بل بداية البدايات في الزمن المعاصر.. هو الإرتعاشة الأولى بعد صدمة الواقع.. فعبره جاء الرد العربي الأول على نكبة أيار ١٩٤٨، فإذا كانت حرب فلسطين الأولى بمثابة الضربة على الرأس التي أيقظت الأمة مرعوبة وهي ترى حجم المخاطر التي تتكالب عليها.. لكنها ظلت في حالة من الشلل والخدر حتى تموز ١٩٥٢ حيث كانت الصحوة والنهوض...

كان العرب يتخبطون في هوان الهزيمة بين عبث الخيانة وذل المستعمر الأجنبي الذي يكبل إرادتهم وينهب ثرواتهم، فجاء جمال عبد الناصر وقال عبارته الشهيرة: «ارفع رأسك يا أخي...» ولأن عبد الناصر أرفق كلامه بالفعل وشمَّر عن ساعديه وأخذ يطرد المستعمر من مصر ويضرب الإقطاع ويعيد الحقوق لأصحابها، كان لهذه الكلمة مفعول السحر من المحيط إلى الخليج.. فالعربي الذي اعتاد عبر مئات السنين على حكم الأجنبي الذي يخاطبه بالسوط والإهانات. لم يصدق أذنيه حين سمع من يقول له: «ارفع رأسك» وأيضاً «يا أخي»!! فأيقن أن قائل هذه الكلمات ليس كغيره أبداً فمنحه ثقة وحباً عارماً مازلنا نحس بهما رغم مرور حوالي ٢٩ سنة على رحيل جمال.. والأهم من ذلك أن العربي أدرك أن كرامته في حريته وأن العزة الفردية لاتنفصل عن العزة الوطنية والقومية وكلاهما يستحق أن يموت المرء في سبيله..

وكانت ثورة يوليو ولاّدة.. خصبة كبهية السمراء الأصيلة، فخلال سنوات وبفضل تأثيرها والمناخ الذي خلقته تفجرت ثورات عديدة على امتداد الوطن العربي من المغرب، فالجزائر حتى سوريا فالعراق والسودان وليبيا..

يا لتلك الأيام.. الكلمة كانت بحق شرارة، تكفي وحدها لإشعال حريق.. يخطب عبد الناصر ويقول: «على المستعمر البريطاني أن يحمل عصاه ويرحل من اليمن» فتندلع الثورة في كل اليمن من صنعاء حتى عدن..

وتبقى ثورة يوليو من تلك الأحداث التي كلما مضى عليها الزمن وابتعدنا عنها أكثر أدركنا مدى ضخامتها وعظمتها، وعرفنا مدى بؤسنا وحاجتنا الماسة لكل ما تمثله..

تنهار الأحلام.. لكنها لاتموت، وهي كالأوطان لاتسقط بالتقادم.. والثورات الأصيلة قد تحاصر أو تُهزم أو حتى تُغتال، لكن روحها بالتأكيد تبقى عصية على الموت.. بل تظل تحلق فوق الواقع وتخيم عليه، متسلحة بقوة أفكارها بالذات.. ورغم كل ما تبدد من منجزات يوليو، وما «ذُبح» من أفكارها ومبادئها، فروحها تظل راسخة عملاقة تماماً كالسد العالي، متوثبة، قوية لأن الشعارات التي أطلقتها حول الحرية والوحدة والعدالة والإشتراكية ستظل تحتفظ بقوتها وراهنيتها حتى تتحقق..

خليل جنداوي